

34
روايات مصرية للجيب
فانتازيا
عرض لا تستطيع رفضه
Looloo
www.dvd4arab.com
د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئاً من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة أو ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثير جدًا .. ولأن عقلها مزدحم بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلتها الشائقة إلى (فانتازيا) ..

ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لاتتغير ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء على مر السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

* * *

١ ـ لن يكون هناك (أنت) آخر ..

(الأب الروحى .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. (عبير) لاتعرفها ، لكن لو لم تعرفها أنت فإننى .. إحم .. إحم ..

* * *

لم تفق (عبير) من الرحلة السابقة .. كانت فى عالم (هانيبال) ، وجاء (المرشد) كى يستعيدها .. لكن القطار لم يعد إلى دارها قط .. لم تصح لتجد نفسها جالسة أمام الكمبيوتر والأقطاب مثبتة إلى رأسها ..

لقد تباطأ المرشد في رحلة العودة بعض الشيء .. راح القطار يترجرج فى رحلته التى تذكرها بمدينة (ديزنى) كما تبدو فى التلفزيون ..

من جديد ترى معالم (فانتازيا) التى لا تنفد من النافذة ، وكما يحدث فى (فانتازيا) دومًا انتهت تمامًا ذكريات (هانيبال) .. كل الإنهاك الجسدى والنفسى وكل الهموم والآمال والمخاوف .. كلها تلاشت كما يتلاشى دخان القطار إذ يغيب فى الأفق .. صارت صفحة بيضاء ، ولكم وددت لو تمر بخبرة كهذه فى حياة الواقع .. النسيان التام ..

قال لها وهو يتمطى وينظر من النافذة :

ـ « يبدو أن هناك خبرة جديدة قادمة .. أنت لم تعودى إلى عالم الواقع .. »

ـ « لاحظت هذا .. ولكن إلى أين ؟ »

أزاح الستار قليلاً ونظر من النافذة .. ثم قال بطريقته اللامبالية :

ـ « عوالم (ديكنز) ؟ هناك الكثير من الشخصيات المثيرة .. هل تحبين عذاب الأيتام والسادة المتعصبين كثى الحواجب ضيقى الأفق ؟ »

ابتسمت .. إن طريقته فى العرض شائقة بحق .. لقد جعلها لا تطيق (ديكنز) ..

ـ « ليس اليوم .. هل من خيار آخر ؟ »

ـ « الواقعية الأسطورية اللاتينية .. هذا عالم (جابرييل جارسيا ماركيز) المتشابك الصعب .. »

ـ « هل من خيار آخر ؟ »

ـ « الواقعية الاشتراكية ؟ هل تحبين إرهاصات الثورة الشيوعية و(هوام المدينة) لدى (ماكسيم جوركى) ؟ »

ابتسمت فى ضيق .. هذا الأحمق لا يكف عن تعذيبها .. الغريب أنها قرأت (جوركى) ولم تجده بهذا السوء ، لكن المرشد قد تكفل بجعله كريهًا .. وتذكرت بيت الشعر العربى العبقرى عن عسل النحل :

هذا مجاج النحل تمدحه .. إن شئت نمًّا قلقيء الزنابير !

هكذا .. يمكن للكلمات أن تجعل الشىء مغريًا أو مثيرًا للتقزز مع أنه لم يتغير ..

هنا رأت شوارع مدينة .. غالبًا أمريكية .. وغالبًا فى أوائل القرن العشرين ..

هناك سيارة عتيقة كالتى تراها فى أفلام (أنور وجدى) تدور فى حركة عصبية لتغلق الطريق ، مع عواء الفرامل العالى إياه : إى ى ى ى ى !! ثم ـ لا وقت لردود الأفعال ـ يقفز منها مجموعة من الرجال الشبيهين بالدببة ، كلهم يلبس بزة سوداء وينتعل حذاء أبيض ، والقبعات على الرءوس .. وفى يد كل رجل بندقية من الطراز الذى يشبه ذكر الضفدعة الذى يحمل كيسًا منتفخًا تحت ذقنه ، ويطلقون عليه Tommy gun .. وهو تدليل لاسم (تومسون) .. ويندفع الرجال نحو حانة مريبة الشكل .. ثم تدوى الطلقات ..

تررررررررر ! ثم : راتاتاتاتاتا ! ثم : بانج .. بانج !

قال لها المرشد :

ـ « سأكون شاكرًا لو خفضت رأسك .. نحن فى (فانتازيا) عالم الخيال .. حيث الطلقات الخيالية تقتل .. أنت تفهمين هذا .. فى السينما يستطيع الرصاص (الفشنك) أن يقتل لأن الأبطال هم أنفسهم (فشنك) .. »

خفضت رأسها طبعًا وإن استبعدت أن تموت بهذه البساطة .. ستسبب كارثة لإدارة (فانتازيا) لو حدث هذا ..

أخيرًا هدأت الطلقات وإن صار الشارع كأنه مغطى بالضباب بفعل دخان البنادق ..

ويهرع الرجال ليقفزوا إلى سيارتهم .. ويخرج أحدهم رأسه من النافذة ليصيح :

ـ « حين يلحق بكم (مولدانو) فى العالم الآخر .. لا تنسوا أن تخبروه أن (كابونى) قد سيطر على هذا الجزء من (شيكاغو) .. نيا ها ها هاه !! »

ثم ابتعدت السيارة بنفس الصخب ، كأنها سحلية مصابة بالبواسير ، وبعد قليل ظهرت سيارات شرطة مضحكة بدورها تحاول اللحاق بها ..

سألت (عبير) بعدما رفعت رأسها :

ـ « ما هذا الذى يحدث ؟ »

قال المرشد وهو يعود إلى استرخائه :

ـ « احتكار ! منافسة تجارية راقية .. إن التعبير الإنجليزى يصف المنافسة الحامية فى عالم الأعمال بأنها (منافسة قاطعة للرقاب Throat-cutting Competition ويبدو أن هؤلاء القوم ينفذون التعبير المجازى حرفيًا ! »

ـ « ومن هؤلاء القوم ؟ »

نظر لها فى غباء ثم أخرج قلمه من جيبه ؛ ليهدئ أعصابه قليلاً بالضغط عليه وقال :

ـ « أنت أحمق مما ظننت .. مدافع آلية وحانات و(كابونى) و(شيكاغو) .. لم يبق إلا أن يعلق هؤلاء القوم على صدورهم شعار المافيا .. »

ـ « أنت تمزح .. »

قال فى ملل :

« نعم .. فأنا أعانى حالة مرضية من المزاح حيث لا يجب المزاح .. »

ثم قال فى هدوء :

« هذا عالم المافيا الرهيب .. أعمق أعماق الجريمة المنظمة .. هل ترغبين فى تجربته ؟ »

قالت فى حذر :

ـ « هل هو مُسَلٍّ ؟ »

ـ « ربما تجدينه مرعبًا .. ربما تجدينه قذرًا .. ربما تجدينه متوترًا .. لكنى متأكد من أنك لن تشعرى بالملل لحظة واحدة .. »

فكرت قليلاً ثم اتخذت قرارها :

ـ « ليكن .. سأجرب هذا العالم .. »

شد حبل القطار ليوقفه ، ثم نظر فى ساعته وقال :

ـ « حسن .. الوقت مناسب لأن هذا موعد فقرتك فى ملهى (باليرمو) .. »

ـ « مقهى ماذا ؟ »

ـ « (باليرمو) .. كل ما يتعلق بالمافيا اسمه (باليرمو) إنها عاصمة (صقلية) كما تعلمين .. »

ـ « أنا لى فقرة ؟ »

ـ « طبعًا .. هيا قبل أن يغضب (سكاليتشى) .. »

وقبل أن تفهم وجدت نفسها خارج القطار ..

وعرفت أن المغامرة بدأت ..

★ ★ ★

كانت الصالة مزدحمة بالرواد .. دخان التبغ منعقد ساكن فى الهواء كأنه الغيوم التى أطبقت على مدينة (بومبى) قبل انفجار البركان .. السادة الجالسون لا يمتازون بأى نوع من الرقى للأسف .. كلهم يحمل ذات الملامح الشيطانية والندوب على الوجه التى تشى بأنهم جاءوا من بالوعة الإجرام .. بالطبع يحتسون الخمر ويدخنون كثيرًا جدًا ..

الإضاءة واهنة ترهق العينين ، ومن مكان ما تنبعث أنغام معزف .. هناك عازف زنجى نحيل يشكو من سل لا علاج له يجلس والسيجار فى فمه يعزف على البيانو .. وهناك عازف زنجى أكثر نحولاً يعانى درنًا لا علاج له يعزف الساكس .. أعرف أن السل هو الدرن لكن (عبير) لاتعرف .. أما الساكس فهو شىء مقدس فى هذه الأجواء المشبوهة ..

الآن تجد نفسها واقفة خلف الكواليس ، ولفافة تبغ فى

فمها .. إنها لم تدخن قط ولا تطيق الفكرة ، لكنها اكتشفت فى هذه المغامرة أنها تدخن كمصنع مطاط .. هذا زمن كان التدخين فيه يضفى على المرأة شخصية وغموضًا ونبرة خشنة محببة فى الصوت ، قبل أن يكتشف الطب أنه يضفى عليها سرطانًا كذلك ..

كانت تلبس ثيابًا زاهية مبهرجة كأنها على وشك الرقص .. ولم تفهم بالضبط ما هى القصة ، إلا حين برز رجل نحيل أصلع الرأس يحمل لوح كتابة ، ويثبت على جبهته واقيًا من الأضواء ، وقال لها وهو يشير إلى الخلف :

ـ « فقرتك يا (ميمى) .. »

فقرتى ؟ إذن هى مطربة أو راقصة فى هذه الحالة .. ربما ما هو أسوأ .. إن المرشد قد تمادى كثيرًا .. من البداية لا يجب أن يسمح لنفسه بأن يزج بها فى مغامرات من النوع الـ ....

لكن فتاة غليظة الصوت مفتولة العضلات دفعتها إلى خشبة المسرح ، وقالت لها بلا مبالاة :

ـ « هلمى يا صغيرتى .. لقد جاء (سكاليتشى) .. إنه لا يصبر ! »

ووجدت نفسها فى اللحظة التالية تحمل مكبر صوت عتيقًا مربوطًا بسلك ، وتقف على خشبة المسرح تواجه أسوأ مجموعة من الرعاع رأتها فى حياتها ..

أظلمت الأضواء وشعرت بشعاع ضوء وقح يلاحقها هى بالذات ..

إذن عليها أن تمشى .. ولكن كيف تمشى على ساقين من عجين ؟

قربت المكبر من فمها ، وحاولت أن تقول شيئًا .. هنا فوجئت بالصوت الرخيم الساحر الذى يخرج من فمها .. عميقًا خشنًا بعض الشىء لكنه ساحر .. باختصار هو الصوت الذى خلق ليغنى أغانى (البلوز) كما يسمونها ..

ـ « أعرف أن اللحظة قادمة ..

« أراك تتحاشى النظر إلى وجهى وأنت تشعل لفافة تبغك ..

« أراك تطيل التحديق فى ساعتك ..

« منذ متى تحتاج إلى كل هذا الوقت من أجل ربطة عنقك ؟

« أعرف أن اللحظة قادمة .

« ستكون لديك (أنا) أخرى .. بل مئات الـ (أنا) ..

« تلك ليست مشكلة .. لكن ماذا عنى أنا ؟

« مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

« فلن يكون هناك (أنت) آخر ..

يصعب القول إن هؤلاء القوم يتمتعون بأدنى قدر من الشاعرية .. كانوا يتكلمون ويتجادلون ، وإن رفع واحد أو اثنان الكأس مشجعين لها ، وصاح البعض بما معناه : « يا سلام يا ست .. أعد ! »

هنا وقعت عيناها عليه ..

كان هو الرجل .. كان هو (سكاليتشى) الذى تحدثوا عنه حتمًا(*) ..

هذه الجلسة الراسخة ذات الثقل ، والتى تشعر معها أن مستوى القاعة يهبط من تحت مقعده .. وجهه ملىء بالعجرفة والثقة والخبرة .. والشر .. يجلس حوله ثلاثة (فتوات) من الطراز شديد الغباء والقوة معًا .. لكنهم لا يجسرون على النظر إليها أكثر من اللازم .. وكذلك لا أحد فى الصالة يجسر على ذلك ..

إنه هو شرير الفيلم .. هذا واضح ..

لكن خواطرها لا تتيح لها أن تستمر فى هذا ؛ لأن مقطوعة العزف المرتجلة التى يطلقون عليها (فامب) تنذر بالمقطع الثانى من الأغنية :

« أعرف أنك ستكون سعيدًا ..

« بلد آخر .. بيت آخر .. واحدة أخرى ..

(*) (سكاليتشى) شخصية حقيقية لكنه هنا مع الكثير من التصرف طبعًا .

« الذكريات تتحول إلى قطرات ندى ..

« سرعان ما تجف مع شمس الجنوب ..

« لكننى مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

« فلن يكون هناك (أنت) آخر .. »

وتستمر الأغنية .. وتذوب هى مع الكلمات واللحن تمامًا ، إلى أن ينتهى المقطع الأخير فتقف لاهثة والدمع متجمد فى عينيها .. ويصفق البعض .. لكن التصفيق الأكثر حماسة كان من (البعبع) نفسه .. يصفق بفخر ورضا وثقة باعتبار هذا السحر كله ملكه .. ملكه ؟ نعم يا (عبير) الصغيرة .. ألم تفهمى هذه الحقيقة بعد ؟

إن سبب حضور (سكاليتشى) الرهيب إلى هذا الملهى الحقير يوميًا ، هو أنه يحب المغنية الحسناء (ميمى واندر) ..

هل ظننت أن رقى المكان هو السبب ؟

* * *

٢ ـ قتل قبل النوم ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. (عبير) لا تعرفها ، لكننا سنفترض ذلك ..

* * *

بعد انتهاء فقرتها كان عليها أن تمارس دورها التقليدى : تذهب لاستبدال ثيابها فى غرفتها .. هنا تسمع قرعات على الباب ، فأسرعت بارتداء ثياب مناسبة وفتحت الباب ..

كان من يقرع الباب يحمل زهورًا .. زهورًا رقيقةً فى الحقيقة ، وهو ما بدا مضحكًا إذا ما تأملت وجه حامل تلك الزهور .. إنه فى حجم الغوريلا بلا أية مبالغة ، وله تلك الأذن المشوهة المثنية المميزة للملاكمين .. هناك ندبة على خده استكمالاً للمشهد العام ، وهو متأنق كالأبالسة لو كان التعبير هذا موفقًا ..

ناولها الزهور فتناولتها فى رعب ، واستطاعت أن ترى أنه يحمل مسدسًا عملاقًا أقرب إلى المدفع يتدلى إلى جوار خصره ..

ـ « (سكاليتشى) ينتظرك .. »

ثم ابتسم فى رقة .. وهز رأسه وانصرف ..

هنا بدأت تفهم الحقيقة المروعة .. (سكاليتشى) هو الرجل المرموق الذى كان فى الصالة ، وهذا تابعه .. وليس لما يحدث إلا تفسير واحد : الرجل معجب بها ..

لم يكن لديها إلا أن تمارس دورها كما تريد (فانتازيا) ستفعل كما طلب منها ..

هكذا أغلقت باب حجرتها ، ونزلت إلى الصالة لتشق طريقها إلى المنضدة .

كان (سكاليتشى) كما أسلفنا القول راسخًا قوى التأثير .. نضيف إلى هذا أنه كان أصلع الرأس ذا شارب رفيع وابتسامة عريضة .. ابتسامة من الطراز الذى .. أنت تعرف ما أريد قوله .. فلا داعى للثرثرة ..

نهض راسمًا تعبير الانبهار على وجهه وطبع قبلة لزجة على يدها ، وعلى الفور وجدت مقعدًا تحتها لتجلس عليه ..

ـ « أنت فاتنة يا عزيزتى .. »

كان يتحدث بلكنة إيطالية .. لا تعرف من أين عرفت هذا .. لكنها ـ لسبب ما ـ تصير مثقفة جدًا فى (فانتازيا) ..

أخرج (سكاليتشى) ذلك السيجار الغليظ الذى لابد أن يذكرك

بإصبع الكفتة ، فاشتعلت خمس قداحات كلها مصوبة إلى طرف السيجار ، وارتجفت الأيدى وهى تنتظر الزعيم حتى يقضم طرفه ، ثم إنه انتقى - بنوع من التفضل - إحدى الشعلات الخمس ، وأطلق سحابة كثيفة من الدخان الخانق .. هناك دوت خمس (كليك) لخمس قداحات تغلق وتعود للجيوب ..

قال أحد الواقفين حوله :

- « سأذهب إلى دورة المياه يا ريس .. »

نظر له (سكاليتشى) فى شك لبعض الوقت ، فبدأ الرجل ينقل رجليه وينفض أصابعه متلويًا كأن روحه تخوض عذابها الأخير .. قال (سكاليتشى) فى برود :

- « لكنك دخلت الحمام قبل مجيئنا هنا .. »

« لم أحقق كل شيء .. إن مثانتى من الطراز الخجول ، والحمام كان مليييينًا أى !! »

أشار له فى اشمئزاز بمعنى أن بوسعه الرحيل ، وخطر لـ (عبير) أن الرجل يخيف رجاله حقًا .. لا تذكر أن هناك شريرًا فى التاريخ بلغ من الشر حد أن يمنع رجاله من دخول دورة المياه ، وإن كانت المعلمة فى المدرسة الابتدائية تفعلها معها كثيرًا ..

قال لها وهو يتأمل وجهها فى ثبات :

- « أنا ذاهب إلى (ميامى) فى (فلوريدا) الأسبوع القادم .. »

ولما رأى عدم الفهم على وجهها قال :

- « هذه هى التقاليد .. رجال المافيا لا يذهبون إلى أى مكان .. إنهم مولعون بالبيت .. لكن لا بد لكل رجل مافيا من أن يذهب إلى (ميامى) من حين لآخر .. »

ثم قرب وجهه من وجهها وسألها فى رفق لزج :

- « هل ترافقيننى إلى هناك ؟ »

نظرت إلى الغوريلات المحيطة به ثم بحذر سألته :

- « هل لى الخيار فى الرفض ؟ »

- « لا .. إن من يرفض طلبًا لـ (سكاليتشى) لا يعيش كى يحكى بطولته .. »

- « إذن لماذا تسألنى ؟ »

- « مجرد صيغة لغوية .. حين أقول .. هل بوسعك أن تغلقى الباب ؟ فأنا لا أنتظر منك أن تقولى : نعم .. هذا بوسعى ، بل أنتظر أن تغلقى الباب فعلاً .. ثمة أسئلة هى فى الحقيقة أوامر .. »

لم يكن الوقت مناسبًا لفهم هذه الأساليب اللغوية ، لكنها كانت تعرف شيئًا واحدًا : بداية هذه القصة قاتمة فعلاً .. الرجل لايغرى بالبقاء معه خمس دقائق ، فماذا عن إجازة فى (ميامى) ؟

هنا عاد الرجل الذى كان فى الحمام ، ووقف يلهث للحظة ..

ثم ..

لم تفهم (عبير) ما حدث ولا متى حدث .. لقد مد الرجل يده إلى جيبه ، وفى اللحظة ذاتها أخرج اثنان من حراس (سكاليتشى) مسدسين عملاقين ، ودوت الطلقات .. وفى اللحظة التالية كانت جثة الرجل ـ العائد من الحمام ـ ممددة على الأرض والدماء تغادرها من عدة ثقوب ..

كانت (عبير) قد تحولت إلى تمثال مذعور فلم تحرك ساكنًا .. حتى الهلع جمده صوت تبادل الرصاص .. كان من الواضح أن (سكاليتشى) تضايق بسبب ذهاب مساعده إلى الحمام ، لكن ليس إلى هذا الحد !

انحنى أحد الرجلين ليمد يده فى جيب الفقيد ، ثم نهض وفى قبضته مسدس عملاق أقرب إلى المدفع الرشاش ..

ـ « هاته يا (مورانو) .. »

ناوله لـ (سكاليتشى) ، فأمسك به .. وتفحصه .. إن مقبضه مغطى بمادة خشنة كأنها الطبشور ..

قال الرجل وهو يبتسم ، على طريقة الفنان الذواقة المضطر للاعتراف بموهبة فنان آخر :

ـ « لقد عالجوا المقبض كى لا يحتفظ بالبصمات .. إنهم ليسوا من الهواة .. »

هنا استبد الفضول بـ (عبير) فسألته بصوت راجف :

ـ « هل تعنى أنه كان ينوى قتلك ؟ »

ـ « طبعًا .. لكننا كنا الأسرع كالعادة .. »

ـ « وكيف خمنت ذلك ؟ »

متعبًا تثاءب وقال بلا مبالاة :

ـ « منذ أن عرض فيلم (الأب الروحى) وحيلة المسدس الموضوع فى الحمام فوق السيفون يمارسها للجميع .. يطلب الفتى الإذن من الزعيم لدخول الحمام ، ثم يدخل ويجلب المسدس ويعود به راسمًا البراءة على ملامحه .. ثم .. بوم ! لكن هذا الأحمق يفترض أننى ولدت البارحة .. ولهذا لا أحب أن يدخل رجالى دورة المياه أبدًا .. أما إذا كان الرجل قد دخل دورة المياه منذ ساعتين فأنا لا أحتاج إلى أدلة أخرى كى أقتله .. رجالى يعرفون هذا ويرتجلون عند اللزوم ! »

ـ « ومن ترك له المسدس ؟ »

- « يا له من سؤال ! أعدائى طبعًا .. إنها تلك المنافسة اللعينة .. هم يريدون الوصول إلى عن طريق رجالى .. »

هنا انحنى أحد رجاله عليه وقال فى أدب :

- « معذرة يا (سكاليتشى) .. ربما كان من الأفضل أن تنصرف قبل حضور الشرطة .. لا أريد أن يقحم اسمك فى الموضوع .. »

قال وهو ينهض :

- « هذا صحيح يا (لوتشيو) .. المشكلة أن سهرتى تفسد دومًا بهذه الطريقة .. وماذا عن (مورانو) و(سونى) ؟ »

بالطبع يتكلم عن القاتلين ..

- « سأنصرف .. أنت لا تدفع كل هذا الراتب لمحاميك كى يفشل فى إنقاذ رجالك .. »

أطلق (سكاليتشى) سحابة من الدخان راضيًا وقال :

- « تذكرى هذا يا حسناء .. المحامى هى أهم مهنة فى الوجود .. ولو كان الأمر بيدى لجعلت نصف سكان أمريكا محامين والنصف الآخر مجرمين !! »

وجاء من الرجال من وضع المعطف على كتفى الزعيم ، وجاء من يفتح له قفازيه الأبيضين كى يدس يده فيهما ..

ابتسم ولوح بسبابته فى وجهها كأنما سيقول شيئًا ثم لم يقله ، وغادر المكان ومعه رجاله ..

وجدت معطفًا فى غرفتها ، فوضعته على كتفيها وقدرت أن الوقت مناسب للانصراف .. لقد رحل الرجل منذ ربع ساعة ..

وفى الصالة كان رجال الشرطة منتشرين .. هنا تجد سمة مهمة ، فى البشر .. كل واحد منهم تتدلى لفافة تبغ أبدية من ركن فمه ، يتكلم بها ويجرى بها .. هذا التأثير يستعمله رجال الشرطة ليبدوا محنكين ، ورجال العصابات ليبدو خطرين ..

وكانوا يقفون جوار الجثة لالتقاط بعض الصور التذكارية .. نعم .. فقد كان هناك صحفى يلتقط لهم الصور وهم يضحكون فى فخر كأنهم من قتلوا القتيل ..

وكان هناك محقق شاب متحمس يسأل الساقى :

- « قلت من أطلق عليه الرصاص ؟ »

يقول الساقى بحماسة :

- « لا أعرفهم يا سيدى .. كانوا ثلاثة رجال جاءوا من الخارج .. أحدهم زنجى والآخر له عين عوراء .. »

نظر المحقق إلى الرجال حوله نظرة ذات معنى ، وسأل فى حذر :

- « أين (سكاليتشى) ؟ »

- « لم يأت الليلة يا سيدى .. »

من الواضح تمامًا أن المحقق يعرف من فعلها .. والساقى يعرف أنه يعرف من فعلها .. لكن ما جدوى البحث ؟ لن يتكلم أحد ..

غادرت المكان لأن أحدًا لم يطلبها ..

وفى الخارج وقفت تتنفس الهواء النقى المبلل بالمطر ، وللمرة الأولى تعرف أين هى بالضبط ..

هذه (برونكس) فى (نيويورك) .. ليست (شيكاغو) إذن .. ولكم - لا لها - أقول إن (برونكس) هى الحى اليهودى فى (نيويورك) .. إن المزج بين الثقافة اليهودية وثقافة المافيا حقيقة واقعة منذ فترة طويلة ، وكان لدى كل من الفريقين ما يعلمه للآخر .. والملاحظة الثانية هى أن كل شىء يوحى بالأربعينات من القرن العشرين .. لن تدهش لو ظهرت (فاتن حمامة) تتأبط ذراع (ماجدة) فى أية لحظة ..

- « لن يتكلم أحد ! »

أجفلت (عبير) وقد سمعت الصوت من ورائها ، فالتفتت للوراء ..

كان هذا (شريف) .. أعنى أنه كان الرجل الذى يشبه (شريف) .. هذا سيكون بطل القصة أو سيكون له دور لا بأس به هنا ..

كان يشبه (شريف) كما قلنا ، لكنه كان يحمل مخايل الثقة بالنفس ، والحنكة والعلم ببواطن الأمور .. كل من فى هذا العالم محنك على ما يبدو ، وهى الحمقاء الوحيدة ..

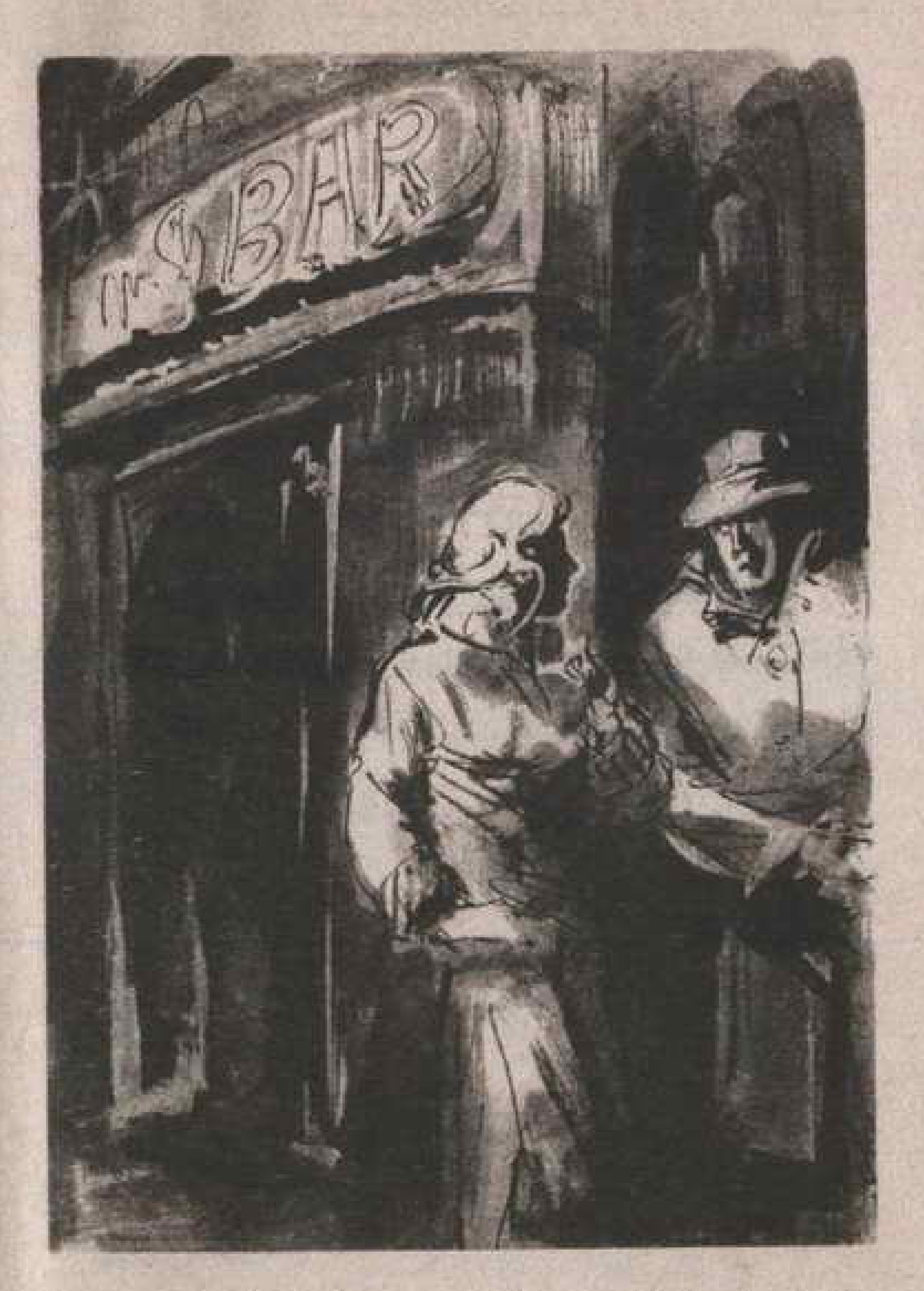
كان يلبس معطفًا خاكيًا طويلاً وقبعة تغطى حاجبيه ، وقد دارى قذاله بالياقة التى رفعها .. ومن ركن فمه تتدلى لفافة التبغ الأبدية ..

أضاف وهو يقدم لها لفافة :

- « وحتى لو تكلموا يا وجه الطفلة .. غدًا سيكون (سكاليتشى) فى المخفر مع ثلاثة محامين ، ومعه ألف دليل - على أنه لم يكن فى الملهى هذه الليلة .. تذاكر سينما .. تذاكر دواء .. محاضر شرطة من ولايات أخرى .. القصة هكذا دائمًا .. »

سألته بحذر :

- « من أنت ؟ »



أجفلت (عبير) وقد سمعت الصوت من ورائها ، فالتفتت للوراء ..

قال وهو يشعل لها اللفافة :

- « هـذا السؤال يحتـاج إلى وقت .. إن سيارتى تنتظر عند ركن الشارع .. هلا أتيت معى ؟ »

لم يكن أمامهـا حل آخر .. فهى لا تملك أدنى فكـرة عن مكان إقامتها ، ولا تعرف ما هى الخطوة التالية ..

نظرت للوراء ثم همست :

- « لا أعـرف مـا سـتقـول لكنى متـأكـدة من أنـه ضـد (سكاليتشى) .. فماذا لو رآنا رجاله ؟ »

ابتسم فى ثقة وغمغم :

- « لن يظهر أحدهم فى المنطقة هذه الليلة .. أشياء كهـذه لا تفوتنى يا وجه الطفلة .. »

وهكذا وجدت نفسها إلى جوار هذا الغامض فى سيارته ..

من المذياع راحت موسيقا الساكس تتسرب معطيةً جو عصابـات لا بـأس بـه أبدًا .. الشـوارع مظلمـة بـاردةٌ مبللـة وهى متعبة .. لو كانت تعرف من هـذا الأخ لنـامت مطمئنـة فى السيارة الدافئة المريحة ..

لكنهـا لا تعرفه حتى لو كـان (شريف) .. الأدهى أنها ترى

انعكاس أضواء الشارع على سحنته .. وجه صلب قاس كالصخر .. هذا ليس بالرجل الهين ..

ثم بدأت تنتبه إلى أن هناك أضواء تنعكس فى مرآتى الرؤية الجانبية والخلفية ..

تنتبه إلى أنه يضغط أكثر على دواسة البنزين .. وأن السرعة تتضاعف بمتوالية جبرية ..

وهمس الرجل وهو يضغط على لفافة تبغه :

ـ « مام ما ميا !! إنهم يطاردوننى ! لا أريد أن يعرفوا أنك معى !! »

* * *

٣ ـ فليعش (الدون) ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. (عبير) لا تعرفها ، لكنها ستفعل ..

* * *

الآن نأخذك إلى منظر مطاردة بالسيارات فى شوارع (نيويورك) ..

سأحاول أن أنقل لك أنين الفرامل الذى يتحول إلى عواء .. سأحاول أن أنقل لك رقصة الأضواء المجنونة فى الظلام .. سأحاول أن أسمعك صوت الـ (سبلاش) الذى يحدثه الماء وهو ينتثر كالموج من تحت العجلات .. سأحاول أن أعطيك الإحساس بالتوتر .. بالسرعة ..

سأحاول أن أريك يدى الغريب على عجلة القيادة .. سأحاول أن أريك السرعة المجنونة التى يضغط بها على دواسة البنزين ، وكيف يضغط أكثر حتى ليخرق قاع السيارة .. سأحاول أن أريك يده وهى تنقل عصا السرعات فى عصبية ..

سأحاول أن أسمعك صرخات (عبير) وهى تحاول أن تتماسك فى مقعدها لكنها تقذف ذات اليمين وذات اليسار كجوال من قمح ..

سأحاول أن أريك الوغد الذى برز من أعلى السيارة السوداء التى تطاردنا .. يحمل المدفع الشبيه بضفدعة حبلى .. سأحاول أن أريك وجهه المسعور وأذنه المهشمة المشوهة ..

سأحاول أن أنقل لك صوت (الرتا تا تا تا) والـ (فلوب) ! (فلـوب) هـذه تحـدث حين ترتطم الطلقات بالرصـيف .. والـ (كلاش) حين تصطدم الطلقة بالزجاج الخلفى ..

ـ « تبًا .. اخفضى رأسك يا حمقاء ! لا أريد أن يروك !! »

ـ « فقط هذا ؟ » ـ قالتها وهـى تندس فـى الفراغ تحت المقعد ـ « ظننتك تخشى على من الطلقات .. » سأحاول أن أسمعك صوت العجلات التى توشك على الاشتعال ..

سأحاول أن أنقل لـك ذعر المـارة الذين راحوا يتواثبون إلـى الإفريز ، لكن هذا ليس بالحل المضمون ؛ لأن هذه السيارات تصعد على الإفريز بسهولة تامة ..

سأحاول أن أسمعك سباب الغريب وحنقه وهو مـا زال يحتفظ بلفافة التبغ التى مضغ نصفها ..

سأحاول هذا كله .. إنها مهمة عسيرة .. لكنى سأحاول .. هل أنجح ؟!!

★ ★ ★

الآن صار الطريق ممتدًا بلا انحناءات ..

تطوى السيارة الأرض طيًّـا وتنهبها نهبًـا كمـا يقـول مدرس اللغة العربية ..

لكن الأوغـاد مصرون على ملاحقـة سـيارة الغريـب .. إصرار شيطانى ..

قال لها الغريب وهو ينظر فى مرآة الرؤية الخلفية :

ـ « جميييل .. إنهم يقتفون أثرنا بسرعة لا تقل عن خمسـة وسبعين ميلاً فى الساعة .. »

ـ « هل هذا سريع ؟ »

ـ « لاحظى أن القياس هنا بالميل يا حمقـاء .. أعتقد أن هذا يماثل مائة وعشرين كيلومترًا .. لقد حان الوقت .. »

وامتدت يده إلى زر فى (تابلـوه) السيارة .. فلم تفهم (عبير) ما قام به ..

لكنها سمعت الفرامل الحادة من الوراء .. ثم نظرت للوراء فرأت السيارة المطاردة تدور فى الهواء حول نفسها ، ثم تتدحرج إلى جانب الطريق وتشتعل فيها النيران ..

بقعة اللهب ذى الدخان الأسود تبتعد عن عينها بسرعة خمسة وسبعين ميلاً أو ما يماثل مائة وعشرين كيلومترًا فى الساعة .. لابد أن هؤلاء القوم لم يجدوا الوقت كى يتألموا ..

لاحظ دهشتها فقال باسمًا :

ـ « المسامير يا وجه الطفلة ! المسامير .. هذا الزر يفتح خزانة المسامير المثبتة فى مؤخرة السيارة .. تصورى أن تنطلقى بالسيارة بسرعة خمسة وسبعين ميلاً أو ما يماثل مائة وعشرين كيلومترًا فى الساعة ، ثم (هوب) .. لا توجد عجلات ! إن الموت محقق هنا .. »

قالت له وهى تلتقط أنفاسها :

ـ « من صاحب هذه الفكرة العجيبة ؟ »

نظر لها فى دهشة وهو يمضغ لفافة التبغ ، وقال :

ـ « كل سيارات المافيا مزودة بهذه الحيلة ، حتى إنها صارت كالتراث لا تعرفين من صاحبه .. إنها الحل الأمثل

للمطاردات .. حتى سيارة هؤلاء القوم مزودة بها .. لكنهم حسبوا أننى لن أستعمل هذه الطريقة ما دمت لم أفعل من البداية .. الحقيقة أننى كنت أقودهم إلى السرعة الجنونية .. »

نظرت له فى دهشة بدورها .. لم تلتقط من عبارته الطويلة إلا جملة واحدة .. فسألته :

ـ « هل أنت من المافيا ؟ »

نظر لها فى دهشة بدوره ـ لقد صار هذا مملاً ـ وقال :

ـ « طبعًا .. ماذا كنت تحسبين ؟ »

★ ★ ★

الآن تمشى السيارة فى ممر طويل بين الأشجار .. إنها ضاحية على الأرجح وعلى جانبى الطريق (فيلات) لا شك فى فخامتها وأناقتها .. هذه ضاحية تخص الأثرياء ..

وقالت له وهى تنظر إلى الخارج فى رهبة :

ـ « إلى أين العزم ؟ »

ـ « ستعرفين حالاً .. »

ـ « ومن أنت ؟ »

- « أنا (لويجى بيرازى) يا وجه الطفلة .. ظننت هذا واضحًا .. »

طبعًا واضح .. كيف لم تفهم هذا ؟ فقط الأحمق يرى (لويجى بيرازى) فلا يعرفه ..

الآن بدأت العملية المملة .. عبور البوابات ..

على كل بوابة مجموعة من الغوريلات المتأنقة التى ترتدى سترات السهرة ، وتتظاهر باللطف .. لكنهم جميعًا مسلحون .. وفى كل مرة يلقون نظرة على السيارة ويطلبون منهما أن يترجلا .. ثم يدور أحدهم حول الاثنين بكشاف .. وبعد قليل يسمح لهما بالمرور ..

وتنغلق بوابة أخرى ..

تذكرت ما كان زوار (هتلر) يمرون به قبل الدخول إلى (الفوهرر) .. لم يكن الأمر أسوأ من هذا ..

قالت له فى حيرة وهما يواصلان المرور عبر البوابات :

- « هل أنت واثق من أننا لسنا ذاهبين للقاء الشيطان ؟ »

- « تقريبًا .. نحن ذاهبان للقاء الدون (مولدانو) .. »

- « دون ؟ »

- « الزعيم .. فى الإيطالية والأسبانية تعنى كلمة Dominus الزعيم أو الرئيس .. (دون) هى تدليل هذه الكلمة . »

طبعًا كان هذا معتادًا فى (فانتازيا) .. أن يشرح لها مرافقها أبجديات العالم .. بينما يصعب على المطربة (ميمى واندر) ذات العلاقات المتشابكة مع المافيا أن تجهل شيئًا كهذا فى عالم الواقع .. وما لم تقله (عبير) أن كلمة (دون) لها معنى مختلف تمامًا فى العربية ..

- « زعيم المافيا هو دائمًا (دون) .. »

وثب قلبها إلى فمها .. إذن من كان (سكاليتشى) إذن ؟ كيف يبدو الزعيم ؟

ثم - السؤال الأهم - ماذا يريد منها ؟ ومن هذا الأخ الذى يمشى معها ؟ من الواضح أنه لا يعمل مع (سكاليتشى) .. فمن هو ؟ الجواب سهل .. ما دام لا يعمل معهم فهو يعمل مع آخرين ..

أخيرًا ترى قاعة جلوس طويلة تشبه ميدان العتبة ، فى ركنها مدفأة مشتعلة .. وأثاث فاخر بحق .. وترى عددًا من الغوريلات المتأنقة متخففة من ثيابها .. أى أنهم انتزعواستراتهم ليقفوا بالقميص مشمر الكمين ، لكن حزام المسدس كان يتدلى إلى الخصر فى كل مرة ..

وفى صدر المكان كـان الرجـل جالسًا .. الحق أنه ليس مخيفًا ولا ضخمًا .. إنـه عجوز أشيب الشعر يثير الشفقة أكثر ممـا يثير الرعب ، لكن عينيه كانتا سامتين .. وأنـا أعنى ما أقول .. عينان يمكن أن تفعلا كل شىء وقد شاهدتا الأهوال .. ربما من عهد (كابوتى) حتى اليوم ..

قال مرافقها وهو ينحنى فى احترام :

- « فليعش الدون .. »

ثم اتجه نحو الرجل وصافحه بطريقة معينة معها طبع قبلة على الخاتم العملاق فى يد الرجل .. فيما بعد عرفت (عبير) أن طقوس (تقبيل الخاتم) هذه أساسية هنا .. إن عـالم المافيا مفعم بالتقاليد التى يحترمونها كأنما هى دينية ..

بدا (مولدانو) يتكلم .. وكان كلامه مقلقًا ..

* * *

كان صوته مبحوحًا يذكرك بصوت احتكاك (الفوم) الذى يغلقون به الأجهزة الكهربية .. وفيه حشرجة توحى بتليف حنجرة لا بأس به .. هذه صارت من التقاليد بعد أداء (مارلون براندو) المبهر فى (الأب الروحى) .. كل زعيم مافيا لابد أن يكون مبحوح الصوت تخرج الكلمات من حنجرته كأنها تخرج من خلاط أسمنت ..

قال الدون وهو يستخدم السيجار كأنه إصبعه السبابة :

- « سعيد برؤيتك يا (لويجى بيرازى) .. آخر أخبار جاءتنا عنك هى سمكة متعفنة فى طرد بريدى .. معنى هذا طبعًا بلغتنا الصقلية أنك ترقد فى قاع المحيط .. أن لك أعداء كثيرين هذه الآونة ، ومن الرجال من يقول إنك إيطالى ولست صقليًا .. ولا يمكن الوثوق بك .. أعرف أن هذا يسبب لك بعض الألم والشعور بالمهانة ، وكان الكثيرون يعايرونك .. لكن تذكر أن (كابونى) نفسه كان مثلك إيطاليًا وليس صقليًا .. بعد هذا صار مفخرة المافيا .. لقد علمت بسلامتك فطلبت منهم أن يكلفوك بهذه المهمة . »

ابتسم (بيرازى) فى حرج وبدا كأنما يفضل أن يستمع ..

أشار الدون إلى مجموعة من الشباب المكتنز شرس الملامح .. وقال :

- « (سونى) هنا .. ومعه (جويسبى) .. إنهما يؤديان عملاً ممتازًا فى نوادى القمار .. »

على طريقتنا فى السلام احتضن (بيرازى) الرجلين وتبادل قبلة على الخد الأيمن لكل منهما ..

- « أما (ماريو) فقد استقام أخيرًا .. إنه يشرف على مجموعة من بيوت المتعة الرخيصة .. »

- «سرنى هذا .. إنه فتى من أصل طيب ، ولا يعمل إلا فى المجالات المحترمة .. فقد كان أكثرنا جدية واحترامًا ! »

قبلة أخرى على الخد الأيمن .. واضح أن هؤلاء الفتية إيطاليون حقًا .. لابد أن كلاً منهم محشو بالمكرونة والبيتزا و(اللازانيا) ..

هنا جاء رجل يحمل الهاتف على صينية ذهبية وقدمه للدون فرفع هذا يده الممسكة بالسيجار بمعنى أن انتظروا لحظة ، على حين قال الرجل :

- « فيليب) المحامى يريدك .. »

وضع الدون السماعة على أذنه وهو لا يكف عن النظر إلى (عبير) وإن بدا أنه يفكر فى شىء آخر :

- « نعم .. أنا (موراتو) .. ماذا ؟ المطعم يصر على حجز (لوتشيانو) إلى أن يدفع الحساب ؟ هذا سخيف . لماذا لا تذهب وتدفع له ؟ يغسل الأطباق ؟ هذا مضحك .. اذهب له وإن لم يقبل المطعم يمكنك أن تطلب من (فيتوريو) أن يقوم بتسليك البالوعة .. »

ثم وضع السماعة ..

كان يدير هذه الأمور كلها وهو جالس فى نفس الوضع والساق على الساق .. لم يتبدل فيه إلا حركة عينيه ..

طبعًا لابد أن القراء فهموا الرسالة فهى شديدة الوضوح ..

«نعم .. أنا (مولداتو) ماذا ؟ الشرطة قبضت على (باريللى) ؟ هذا سخيف .. لماذا لا تذهب وتدفع له الكفالة ؟ يستجوبونه ؟ هذا مضحك .. اذهب له وإن لم يطلقوا سراحه بكفالة ، يمكنك أن تطلب من (لوكا التركى) أن يعمل على خطف الضابط وقطع أنفه والتخلص من جثته فى النهر .. »

كل رجال المافيا يستعملون لغة خاصة فى المكالمات الهاتفية لا يمكن استخلاص شىء منها .. وكل واحد له عدة أسماء .. هذا بالنسبة للمتساهلين منهم ، أما أولئك المبالغون فى الحذر فهم يستعملون لغة صقلية قديمة مندثرة ..

نظر الدون إلى (عبير) وجذب الكثير من الدخان من سيجاره ، ثم قال :

- « أنت إذن المطربة الحسناء .. »

ابتسمت فى حرج لهذه المجاملة .. وإن بدا لها أنه لا يصدق .. فأردف :

- « إن (سكاليتشى) يهيم بك حبًا .. كل رجل له نقطة ضعف لكن الحب هو أخطر هذه النقاط .. »

فهمت ما سيطلب منها .. دائمًا تكلف هى بهذا الدور .. إنها الطعم الذى يستخدمه أحدهم للإيقاع بأحدهم .. ألم تكن منذ قليل أمل (روما) الوحيد لتسميم (هانيبال) ؟ ألم تكن أمل المخابرات البريطانية فى أسر (هتلر) ؟

قال باسمًا :

ـ « ما الذى خطر لك ؟ لن أطلب منك قتله .. فهو لن يموت ولن يرحمك .. كل ما أطلبه منك أن تكونى جاسوسنا الدائم عليه .. إننا نعتبره متمردًا على الأسرة .. يحاول العمل مستقلاً بينما شعارنا هنا هو المركزية .. لو تركنا كل واحد يعمل ما يشاء لانتهت الأسرة .. »

هنا دخل شاب وسيم متأنق القاعة ، فدنا من الدون ولثم خاتمه ثم همس بعض كلمات فى أذنه ، فقال بصوت عال :

ـ « آه .. (برناردو) ! دعه يأت .. »

ثم عاد يواصل كلامه مع (عبير) :

ـ « أنت يا صغيرة لا تملكين الخيار .. نريد أن تقومى بهذا العمل وستقومين به .. أنت جميلة ونحن نريد أن تظلى كذلك .. دعك من أننا ندفع بسخاء .. هذا عرض لا تستطيعين رفضه .. »

دخل القاعة رجل أصلع نحيل واجف ، واتجه نحو الدون باحترام ولثم خاتمه ثم وقف بين يديه منكس الرأس ..

ـ « تعال يا (برناردو) .. تريد أن تنال هذه الترقية .. هه ؟ اترك اسم رئيسك فى العمل .. سيكون لك هذا .. »

ثم أشار بالسيجار إلى الرجل محذرًا :

ـ « لكن تذكر .. أنت مدين لى بخدمة أحدد أنا متى وكيف تسديها لى .. »

هز الرجل رأسه فى ذعر .. ثم سأل متأدبًا :

ـ « هل يسمح لى الدون (مولدانو) بالسؤال عن كيف تقتنع رئيسى ؟ »

ابتسم الدون ونفث دخان السيجار والتمعت عيناه :

ـ « سأقدم له عرضًا لا يستطيع رفضه .. »

كان هذا هو التهديد المبطن بالعنف An Offer you cannot refuse فالعروض التى لا تستطيع رفضها تتعلق دائمًا بحياتك أو حياة من تحب .. والحقيقة الأخرى التى ستعرفها (عبير) جيدًا فيما بعد هى أن زعماء المافيا يعيشون على رصيد هائل من الخدمات (الخاصة) التى قدموها للآخرين .. حين يحتاجون إلى شهادة زور يجدون من يشهد .. حين يحتاجون إلى رحلة مجانية يجدون من يدفع .. حتى فى قصة (الأب الروحى) احتاج الدون (كورليونى) إلى حانوتى بارع يدارى الجروح فى جثة ولده الأكبر حتى لا تراها أمه .. وكان له ما أراد !

هاتف آخر ..

جاءت الصينية وعليها هاتف أحمر مخيف الشكل .. غمغم الدون فى ضيق :

ـ « الرئيس ؟ ماذا يريد ؟ »

ثم رفع السماعة وبدأ فى حوار قصير هامس لم تفهم منه (عبير) الكثير ..

تبادلت نظرة مع (لويجى) ثم نظرت إلى الآخرين فرأت نظرة احترام وتوتر لا بأس بها .. هنا فهمت .. الرئيس هو رئيس الولايات المتحدة ! هذا ليس غريبًا .. إن علاقات المافيا وتداخلها مع السياسة على أعلى مستوى لأمر معروف ..

يحكى لنا التاريخ عن استعانة الرئيس الأمريكى (روزفلت) بالمافيا وذلك لأنه كان يزمع عمل إنزال كبير للقوات الأمريكية فى جزيرة (صقلية) .. كانت العملية خطرة وتحتاج إلى حماية للقوات على أعلى مستوى .. هكذا اتصل الرئيس الأمريكى بزعماء المافيا فى (نيويورك) ورتب معهم تسهيل عملية إنزال القوات الأمريكية على الجزيرة بلا مقاومة .. هذا سهل بالنسبة لهم لأن (صقلية) عبارة عن بلد أعمامهم وخالاتهم .. تقاضت المافيا ثمن الصفقة خمسة وعشرين مليونًا من الدولارات ، وعندما نزلت القوات الأمريكية فى (صقلية) كانت العائلات تستقبلها ملوحة بالأعلام الأمريكية ، لدرجة أن المشهد كان مؤثرًا !

هذه الحقيقة يجب ألا تغيب عن الأذهان : فقط المافيا تستطيع حماية الجيش الأمريكى نفسه لو نزل فى (صقلية) !

ثم إن الدون أنهى المكالمة ونظر إلى (عبير) وهز رأسه بمعنى أن بوسعها الانصراف ..

اتجه (لويجى) إلى الدون ليلثم خاتمه ثم ينصرف متراجعًا بظهره إلى الوراء .. وتبعته (عبير) التى لم يكن فى نيتها طبعًا أن تفعل كما فعل ولو كان هذا آخر يوم من عمرها ..

وفى الخارج مشت وراء (لويجى) الذى راح يشق طريقه وسط حواجز الحراسة تلك ..

أخيرًا استقرت فى سيارته فتنهدت وتنفست الصعداء ..

قالت له فى ضيق :

- « هلا شرحت لى معنى هذا كله ؟ »

أدار المحرك الكسول بفعل البرد .. اقتضى الأمر مرتين أو ثلاث مرات حتى هدر المحرك ثم قال لها :

- « الأمر لا يحتاج إلى شرح وإلا فأنت حمقاء أو صماء .. »

* * *

٤ـ أومرتا وفنديتا ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. لو لم يكن كتبها لأوجدت نفسها ..

★ ★ ★

خرجت السيارة إلى الطريق العام ..

كان الظلام دامسًا إلا من بعض أضواء السيارات من بعيد .. وأضواء (نيويورك) تتلألأ على خط الأفق .. كأنها غابة أسطورية غافية ..

فجأة رأت (عبير) الأضواء تلتمع فى مرآة السيارة صاخبة قاسية .. نعم .. هناك أضواء صاخبة ولا أعرف كيف ..

هتف (لويجى) فى رعب :

ـ « هناك من يتبعنا يا وجه الطفلة .. إنهم منهم ! »

قالت فى ضيق :

ـ حسبت أنك قلبت سيارتهم فى المرة السابقة .. »

ـ « هؤلاء غير هؤلاء ! »

وسرعان ما دوت الطلقات تحصد كل ما يكون فى مجال عملها ، وشعرت (عبير) بالغيظ .. لقد صار هذا مملاً ..

ومن جديد راحت عجلات سيارته تعوى وهو يتخذ مسارات متعرجة خطرة للغاية .. لو كانت (عبير) لبنًا فقد تحولت إلى جبن الآن ، ولو كانت بيضًا فقد اكتمل تحولها إلى عجة مخفوقة بعناية ..

قالت له وهى تنحدر إلى دواسة السيارة :

ـ « هل هذا روتين حياتك الدائم ؟ »

ـ « دائمًا .. وفى كل مرة .. معذرة .. (فرملة مفاجئة .. إى ى ى ى ى !!) وفى كل مرة تنقلب سيارتى وتصل إلى الدون أخبار مصرعى .. لكنى أظهر من جديد .. يجب أن يتعلم هؤلاء الصبية القيادة فترة أطول فى مدرسة القيادة حتى يوقعوا بـ (لويجى بيرازى) .. »

ثم قال لها وهو يضغط على لفافة تبغه كالعادة :

ـ « اسمعى .. أنت تحت المقعد .. ثمة زر تحت يدك .. هل وجدته ؟ حسن .. اضغطى عليه .. »

قالت وهى تفتش بيدها فى الظلام :

ـ « هل من مزيد من المسامير ؟ »

ـ « لا .. بل .. »

وضغطت على الزر .. هذه المرة لم تعرف ما يحدث ، لكنها وجدت السيارة التى تطاردهما وقد راحت تميل ذات اليمين وذات اليسار . صارت تعبر الطريق عدة مرات بالعرض كأنها ترسم حرف Z اللاتينى عددًا من المرات لا حصر له ..

ثم حدث الشىء المتوقع وخرجت من الطريق لترتطم بشجرة لا تدرى متى وجدت هناك .. واندلعت النيران ..

نظرت (عبير) إلى الوراء إلى الشعلة التى تبتعد بسرعة لا يمكن تصديقها وقالت :

ـ « هذا زيت ؟ »

قال دون أن ينظر لها :

ـ « طبعًا .. لا يوجد رجل مافيا يتخلص من زيت سيارته المتسخ .. إنه يصلح دائمًا .. إن حيلة الزيت على الطريق العام لا تفشل أبدًا .. »

قالت وهى تعتدل فى مقعدها :

ـ « من حسن حظك فعلاً أنهم يطاردونك ولا تطاردهم أنت .. وددت لو رأيت ما كنت ستفعله فى موقف مماثل .. »

ثم سألته فى فضول :

ـ « لماذا أنت بالذات ؟ »

ـ « الأسرة تكرهنى .. هذا تفسير بسيط سهل .. إن (نيويورك) تعج بالقتلة الباحثين عن رأس (لويجى بيرازى) ..»

ـ « أية أسرة ؟ »

ـ « الأسرة التى انفصلت عنها .. أنا الآن أعمل مع الدون (مولدانو) .. »

ثم توقف بالسيارة تحت مجموعة من الأشجار ، فنظرت حولها إلى الليل المظلم .. لو أن طائر العنقاء ذاته قتل هنا فلن يسمع صوته الحاد المرتفع أحد .. قالت له فى رعب وهى تبحث فى التابلوه عن سلاح :

ـ « هذا هو المكان المختار .. أليس كذلك ؟ إنهم يتخلصون من الجثة فى الدغل دائمًا .. ستطلب منى أن أنزل من السيارة وأبتعد بضع خطوات وظهرى لك تغمره كشافات السيارة .. ثم .. طاخ ! هل تحسبنى لم أر أفلامًا من قبل ؟ »

أخيرًا وجدت قلمًا مدبب الطرف فرفعته منذرة ..

أشعل لفافة تبغ راح يضحك مما جعله يغرق فى السعال ، وأخيرًا قال لها :

ـ « لا تكونى سخيفة يا وجه الطفلة .. طبعًا لن أقتلك .. الفكرة هنا هى أن هذا المكان هو الوحيد الذى لا أرى رجال (سكاليتشى) فيه .. »

وبدأ يحكى لها بصوت خفيض منوم قصة المافيا ..

★ ★ ★

التوصية الأولى : على عضو المافيا أن يهب لمساعدة أخيه بكل طريقة ..

★ ★ ★

إن القصة قديمة يا وجه الطفلة .. تعود إلى القرن الثالث عشر فى (صقلية) .. كان الحكام الأسبان والفرنسيون يحكمون الجزيرة بقبضة من حديد .. لم نر منهم إلا الفقر والعذاب .. وهكذا نشأت المقاومة .. وحركة المقاومة كانت صلبة متماسكة تتخللها طقوس غاية فى السرية وأحلاف الدم ، وقد استطاعت هذه الجماعة أن تلقى الرعب فى قلوب المستعمرين .. (أومرتا) .. كلمة إيطالية معناها (مؤامرة الصمت) .. هذا هو القانون ..

ثم جاء العام 1860 .. ومعه توحدت (صقلية) مع إيطاليا تحت عرش ملك إيطالى قوى ، وهكذا انتفى الغرض من هذه الجماعة السرية .. لكنها ظلت فى وجدان ونفوس الناس .. إن (مافيا) كلمة إيطالية الأصل معناها (الشجاعة والإقدام)(*) ..

★ ★ ★

التوصية الثانية : على عضو المافيا أن يطيع مجلس الإخوان دون مناقشة ..

★ ★ ★

استمرت المافيا .. استمرت وإن غيرت نشاطها إلى مجال مختلف بعض الشىء .. بدلاً من ترويع الأعداء قررت ترويع الآمنين .. وكانت تمارس الخطف والقتل والابتزاز .. وهنا ظهرت أقدم مهنة فى التاريخ الحديث : الحماية الجبرية .. وهو ذات الأسلوب الذى يمارسه أى بلطجى فى موقف (ميكروباصات) فى بلادكم ..

« أنت فى خطر يا بنى .. يجب أن تجد شخصًا قويًا يحميك .. لكن يجب أن تدفع له مقابل هذه الحماية .. » فإن كان الفلاح

(★) هناك تفسيرات كثيرة لهذا الاسم ، من بينها (الموت للفرنسيين) و(ابنتى) ، لكن ـ على الأقل ـ هذا هو التفسير الوحيد الذى يقدمه (قاموس التراث الأمريكى) الإصدار الثالث ـ 1993

أو التاجر أحمق ، كان رده هو : أنا قادر على حماية ذاتى .. عندها يقرر رجال المافيا أن عليهم أن يبرهنوا له على أنه مخطئ وأن الحياة خطيرة فعلاً .. وهكذا يحترق متجر التاجر أو أرض الفلاح .. يموت ابنه أو تنفق مواشيه أو يتلقى علقة ساخنة .. وفى النهاية يقتنع البائس أن الحياة محفوفة بالأهوال ، وأن هؤلاء القوم بعيدو النظر ..

استمر هذا النشاط حتى القرن العشرين .. هنا تحدث نقلة مباركة فى حياة المافيا : أمريكا ..

هذه الأرض المباركة البكر التى انتزعها البيض من الحمر ليستعبدوا فيها السود والصفر .. إنها مليئة بالفرص لكل شىء .. للفلاح وعامل المنجم وحفار القبور .. فكيف لا تكون عامرة بالفرص للصوص ؟!

* * *

التوصية الثالثة : على عضو المافيا أن ينتقم بأى ثمن من أى عدوان يقع على أخ من الجماعة ..

هذا هو المبدأ الذى يسمونه (فنديتا) .. الثأر .. وهم يفهمونه كما يفهمه أى واحد من مطاريد الجبل فى الصعيد (الجوانى) .. يبدو أن لغة الثأر عالمية ..

* * *

بدأت المافيا - يا وجه الطفلة - تمارس عملها فى أحياء الإيطاليين فى الولايات المتحدة ، تحت اسم التدليل (اليد السوداء) وببطء ولدت مافيا الولايات المتحدة أو (الكوزا نوسترا) أى (بيتنا) .. وكانت حتى هذه اللحظة مجرد عصابة منظمة ببراعة .. ثم جاء التحول الثانى المهم فى تاريخها : قانون تحريم الخمور ..

لقد حرم الكونجرس الأمريكى الخمور .. وكان هذا العمل الشجاع ليغدو أكثر نفعًا لو تم فى مجتمع يرغب فى التخلى عن تلك المشروبات القاتلة .. لكن - بالنسبة للمجتمع الأمريكى - كان معنى هذا البحث عن باب خلفى موارب وازدهار تجارة تهريب الخمور .. ازدهارها إلى حد غير مسبوق فى التاريخ .. لقد وجد هؤلاء القوم منجم الماس المفقود ..

الآن صار هذا هو سباق (المنافسة القاطعة للرقاب) .. لقد قررت المافيا أن هذا بالذات هو مجال عملها ، ولن تسمح لأحد آخر من الهواة بمقاسمتها لقمة العيش هذه .. وبدأت المذابح الشهيرة التى يعرفها كل من رأى فيلمًا من أفلام المافيا .. كان هذا هو العصر الذى عرف أسماء عظماء من أمثال (كابونى) و(لوتشيانو) .. إلخ .. وبالنسبة لمؤرخى المافيا كانت تلك أيامًا ذهبية لن تعود ..

* * *

التوصية الرابعة : على عضو المافيا ألا يلجأ إلى البوليس أو المحاكم مهما حدث ..

★ ★ ★

كان عبقرى التنظيم والملك المتوج لـ (شيكاغو) هو (آل كابونى) أو (الوجه ذو الندبة) .. صحيح أنه ليس من (صقلية) بل هو مجرد إيطالى آخر ـ وهكذا يجعل أصله مخجلاً بالنسبة للمافيا ـ فإن الرجل استطاع أن يسكت كل منافسى المافيا فى البلاد .. ثم يسكت كل منافسى المافيا الذين لا يعملون معه فى شيكاغو .. وقد وضع وثيقة (تحالف) مهمة جداً هى معاهدة (أتلانتا سيتى) عام 1929 التى وحدت كلمة رجال المافيا فى كل مكان .. إنها بالنسبة للمافيا تلعب دور الدستور بالنسبة للولايات المتحدة ..

ومع (آل كابونى) وضعت القواعد الشهيرة للمافيا التى نعرفها حتى اليوم .. شبكة المخبرين الذين يتقاضون رواتبهم منه سراً .. من كل دولار هناك خمسة وسبعون سنتاً لرشوة رجال الشرطة .. كان الرجل رهيباً وقد تحول إلى أسطورة بسرعة لا تصدق .. إلى أن برز له رجل لا يرتشى اسمه (إليوت نس) ..

حسن .. إن كل من رأى مسلسل أو فيلم (المعصومون) يعرف القصة كاملة . ويعرف أن (أليوت نس) لم يستطع أن يمسك على (آل كابونى) إلا تهمة (هايفة) بعض الشىء هى التهرب من الضرائب .. تصور أن الرجل الذى قتل وهرب وسرق : متهم فقط بالتهرب من الضرائب .. لكنها كانت التهمة الوحيدة التى استطاعوا إثباتها على كل حال وبفضلها سجنوا الرجل ، وأمكن حصر شروره بين جدران أربعة ..

★ ★ ★

التوصية الخامسة : على عضو المافيا ألا يعترف بوجود الجماعة مهما تعرض للتعذيب والألم ، وألا يناقش نشاطها مع أحد أو يعرف باسم واحد منها ..

★ ★ ★

يذكر التاريخ أن أول من كاد يقترب من تدمير المافيا فى (صقلية) كان دكتاتوراً فاشياً هو (بنيتو موسولينى) .. إن النظم الفاشية لا تسمح بوجود ترف فردى مثل المافيا .. والحق يقال إن أساليب الرجل كانت عنيفة جداً ، فلو لم يلق نهايته لاندثرت المافيا من (صقلية) فعلاً ..

وفى السبعينات قدمت السينما الأمريكية فيلمها الرائع (الأب الروحى) عن قصة (ماريو بوتزو) .. وعن طريقه

صار الناس يفهمون كل شىء عن المافيا ، وقد تلقى (مارلون براندو) بطل الفيلم رسالة من المافيا تقول له : لو لم تؤد الدور كما أديته بعظمة واحترام لكنا غضبنا عليك !! ولا بد أن هذه الرسالة جعلت (براندو) راضيًا أكثر من جائزة الأوسكار التى رفض تسلمها على كل حال ..

وفى الثمانينات ستخوض إيطاليا معركة عاتية ضد المافيا ، ولسوف تعتقل زعيمها الشهير (سلفاتور ريينا) عام 1993 ، إلا أن هذا سيؤدى إلى أكبر وباء اغتيالات يودى بالقضاة والشهود والصحفيين ..

ومن أجل المافيا أوجدت الحكومة الأمريكية برنامج (حماية الشهود) .. حيث يمكنك أن تشهد وتكون شاهد ملك .. لكن بعد هذا يتم تغيير حياتك بالكامل .. تعطى اسمًا جديدًا وأوراقًا جديدة ، وتنقل إلى بيت وعمل جديدين فى ولاية أخرى .. وتظل الشرطة تراقبك من بعيد طيلة الوقت ..

لكنهم يقولون إن العصابة تجدك دائمًا فى النهاية The mob will always get ya

هكذا يجدونك - لا سمح الله - فى زقاق مظلم مقتولاً وبلا أنف أو عين .. عبرة لمن لا يعتبر ..

* * *

الليل الساكن فى الخارج .. ساكن تمامًا حتى من صوت مخلوقات الليل التى لن تجازف بالخروج فى هذا البرد ..

كان (لويجى) قد أنهى لفافتى تبغ فقط وهو يحكى لها هذه القصة .. والسبب هو أنه لا يسحب الدخان أبدًا إنما تتدلى لفافة التبغ من ركن فمه لتحترق وحدها ..

قالت له فى كياسة :

- « هل لى من سؤال لا علاقة له بالموضوع ؟ لماذا تتدلى لفافة التبغ طيلة الوقت من فمك ؟ »

بدا أنه يلاحظ هذه للمرة الأولى ، فقال فى شىء من الحرج :

هذه هى العادة فى هذا الزمن يا وجه الطفلة .. إننى أتخذ النمط (البوجارتى) .. أى أحاول أن أبدو محنكًا غامضًا مثل الممثل (همفرى بوجارت) الذى اشتهر بذقنه غير الحليقة ولفافة التبغ المتدلية .. »

عادت لخيط الحديث :

- « ومن هو (سكاليتشى) ؟ »

قال وهو يدير محرك السيارة :

- « إنه وغد .. »

- « يا سلام ! لم ألحظ هذا من قبل . »

- « (سكاليتشى) يسيطر بقبضة من حديد على النشاط الإجرامى فى (برونكس) .. يسيطر على أعمال البناء ومحال القمار كما أنه من أهم مصادر الإقراض بالربا فى البلدة .. الطريف هنا أنه يفرض عليك إتاوة إجبارية ، فإن عجزت عن الدفع أقرضك بالربا ما يمكنك من سداد الإتاوة ! »

ثم انطلق بالسيارة وأردف :

- « يقول عن نفسه إنه مقاول بناء ! »

- « مقاول بناء ؟ »

- « ليس هذا غريبًا .. كان (آل كابونى) يحكم الجريمة فى أمريكا كلها ، لكنه يقول عن نفسه إنه مجرد تاجر أثاث مستعمل ! ليس هذا موضوعنا .. إن الدون يعتقد أن (سكاليتشى) يحاول السيطرة على (نيويورك) كلها .. وقد كلفنى بأن أعرف ما ينتويه .. يمكنه أن يتخلص منه بسهولة تامة بأن يرسل له (لوكا التركى) أو أى واحد من الإخوة المتحمسين ، لكنه لا يستطيع أن يقتله لمجرد الاشتباه .. وكان الحل الذى وجدته أنا هو أنت .. »

- « هل تعتقد أننى سألعب هذه اللعبة .. »

- « ستلعبينها .. لا أحد يناقش الدون .. ثم إننى أعرف أنك تكرهين (سكاليتشى) .. ستتخلصين من هذا الوغد وتهربين من غضب الدون .. صدقينى إن غضبه يختلف نوعًا عن أن يبكى ويضرب الأرض بقدمه .. »

نظرت إلى الطريق الذى يفتح أحضانه للسيارة القادمة ، وقالت وهى ترتجف :

- « أريد الابتعاد عن هذه اللعبة الخطرة .. هؤلاء القوم لا يبعثون الراحة فى نفسى .. »

- « ليس هذا بيدك .. و .. »

هنا التمعت كشافات مبهرة فى مرآة الرؤية الخلفية وشعرت (عبير) بأنها لا تستطيع فتح عينيها ..

ثم انهمرت الطلقات .. وهتف (لويجى) :

- « الويل ! مام ما ميا ! إنهم قد رأونى .. »

* * *

٥ ـ لماذا تأخرت ؟

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. لو لم تكن قد سمعتها يمكنك أن تتجاهل هذه الفقرة ..

★ ★ ★

قالت (عبير) وهى تنزل إلى الدواسة بينما الرصاص يهشم زجاج النافذة :

ـ « إن الحياة معك مملة فعلاً .. هل يمكن أن تمر بك ساعتان من دون مطاردة سيارة ؟ »

لم يرد عليها ، وهتف ينظر فى المرآة :

ـ « هذا (دومينو) .. ويلى !! لقد عاد إلى (نيويورك) .. إنه يجيد التصويب .. ومن الآخر ؟ »

هنا دوى صوت عال يصيح بالسباب الإيطالى الفاحش الذى لن نترجمه هنا ، ثم :

ـ « توقف يا (لويجى) يا كيس لحم الخنزير المتعفن ! إننا سنعلقك من أذنيك !! »

قال (لويجى) وهو يعالج ذراع السرعات :

ـ « هذا (الأخرس) .. لقد عاد من (شيكاغو) .. كان قد قتل عشرة رجال شرطة فى لحظة ضيق وفر .. »

ـ « اسمه الأخرس ؟ إنه أكثر الخرس فصاحة على ما أعتقد .. »

كانت الطلقات مستمرة بلا هوادة ، فقال لها وهو يشير إلى ما أسفل التابلوه :

ـ « هناك هذا الزر .. هل ترينه ؟ إنه جوار الآخر .. نعم .. نعم .. إلى اليسار قليلاً .. اضغطى عليه .. »

ضغطت على الزر وهى تتساءل عن الحيلة هذه المرة .. لكنها لم تفهم ما حدث إلا حين توقفت الطلقات .. ورفعت رأسها بحذر لترى ما هنالك ، فكان ما رأته هو أن الضباب صار يملأ الكون .. بالذات الكون من خلف السيارة لا أمامها ..

سحابة كثيفة من الدخان وراء السيارة تذكرك بالقطن الذى تم لصقه على العالم .. فلو أنك مددت يدك للمسته ..

قالت له فى حيرة :

ـ « وما هذه الحيلة ؟ »

- « لا شىء .. ستار الدخان الذى يخرج من العادم .. مجرد حيلة تسمح بحقن خليط من البنزين والزيت .. كل سيارات رجال المافيا تملك الشىء ذاته .. لقد صار من المستحيل على مطاردنا أن يستمر .. »

- « إن سياراتكم هذه عجيبة حقًا .. »

- « إن لدينا ميكانيكيين لا يعملون إلا معنا .. رجل المافيا لا يثق بميكانيكى من المافيا .. »

بعد دقائق من الانطلاق بسرعة جهنمية صارت (نيويورك) المعمورة أمام عينيها .. لقد عادا من لقاء الدون ، وبرغم أن هذا احتاج إلى التملص من ثلاث سيارات تقل ما مجموعه نحو عشرة قتلة ، فقد انتهى اللقاء المهم ..

والآن يبقى السؤال المهم : أين تعيش ؟

والإجابة كانت سهلة ؛ لأن الرجل أوقف السيارة قرب عمارة سكنية فى (برونكس) .. لم يقف أمامها وإنما فى شارع جانبى قريب منها ، وكان الظلام الدامس يغلف الكون .. نظر فى كل الاتجاهات ليتأكد من أن سيارة أخرى لن تبرز له ، ثم قال وهو يفتح الباب لها من الداخل :

- « عمت مساء .. أنا أعرف أن (سكاليتشى) ينوى الذهاب

إلى (ميامى) ولسوف يصحبك معه .. هذه الاجتماعات مهمة جدًا وسوف تعرفين عن نواياه الكثير .. سوف أكون هناك بشكل أو بآخر .. ولسوف أعلن عن نفسى فى الوقت المناسب عندها تعطيننى وريقة تحمل آخر الأخبار .. »

نظرت له فى رعب وقالت :

- « وهنا ؟ هل تتركنى وحدى مع هؤلاء الأوغاد ؟ »

كان هو (من هؤلاء الأوغاد) فعلاً .. لن تنسى هذا .. لكنها على الأقل تستطيع الكلام معه .. هذه نقطة .. ثم إن له ملامح (شريف) .. وهذه نقطة أخرى فى صالحه .. على الأرجح هذا يعنى أنه الشيطان ذو قلب الملاك أو اللص الظريف أو أى شىء بهذا المعنى ..

قال لها باسمًا وهو يدس لفافة تبغ بين شفتيه :

- « أنت لست فى خطر يا وجه الطفلة .. الخطر الوحيد يأتى حين تكونين معى لأن أكثر الأسر فى الولايات تبحث عنى ، ولو رآنا (سكاليتشى) معًا لفهم كل شىء .. هيا .. بسرعة .. »

هكذا هزت يدها مودعة وانطلقت لا تلوى على شىء تدخل البناية ..

سمعت محرك سيارته ينطلق ، بينما استوقفتها حارسة البيت العجوز لتعطيها مفتاح شقتها .. هكذا لم تعد فى ورطة معرفة فى أية شقة تقيم .

* * *

الآن نترك هذا السياق لنتجه إلى مكان لا تراه (عبير) الآن ..

نحن فى صالون حلاقة (باليرمو) .. لا .. ليس (باليرمو) بل (باليرمو) .. أنت صرت من الأسرة وتعرف أن كل مقاهى المافيا وملاهيها ونوادى قمارها اسمها (باليرمو) .. هؤلاء القوم يحنون إلى أوطانهم بحق لدرجة تدفعك إلى البكاء تأثرًا ..

كان الحلاق الصقلى العجوز واقفًا يدندن ويعيد صقل موسى الحلاقة ، بينما أمامه على المقعد يجلس (ساباتينى) .. (ساباتينى) هو من أهم زعماء العالم السفلى .. لكن فى الفترة الأخيرة بدأ ذلك الداء الوبيل يصيبه : محاولة الاستقلال عن الأسرة .. لقد استطاع إدخال الهيروين إلى الولايات ومكاسبه تنتعش يومًا بعد يوم ..

وضع الحلاق المنشفة على وجه الرجل ، وراح يعالج قفاه

بالموسى بينما هو يثرثر بالإيطالية .. وكان (ساباتينى) قد صار أقرب إلى الغيبوبة الآن من فرط الملل ..

هنا ينفتح الباب .. يرى الحلاق القادم فى المرآة .. يتقدم الرجل فارع الطول ذو البذلة السوداء الأنيقة .. قبعة سوداء تخفى عينيه وقفاز أبيض وحذاء أبيض ، وصندوق كمان عملاق أعتقد أنه (ستراديفاريوس) لو كنت تفهم ما أعنيه .. إن منظر هذا الرجل فى هذا العالم لا يتحمل إلا إجابة واحدة : إنه قاتل محترف ..

ارتجف الحلاق وتراجع للوراء لكن صوته احتبس فى حلقه ..

نظرة واحدة إلى وجه الغريب تكفى .. وجهه يحمل رسالة صامتة تقول : إياك أن تتكلم .. وجه كالصخر لا يحمل أى انفعال فلو لم يكن هذا الرجل يتسلى فى داره بحرق القطط فى الفرن لكنت لا أفقه شيئًا ..

تراجع الحلاق أكثر ، ثم أطلق ساقيه للريح غير مصدق أنه خرج من هذا المكان ..

الآن الزبون والغريب معًا فى نفس صالون الحلاقة الخالى ..

فى بساطة ونعومة يتناول الغريب الموسى من موضعها ويتقدم نحو (ساباتينى) ..



فى بساطة ونعومة يتناول الغريب الموسى من موضعها ويتقدم نحو (ساباتينى) ..

- «لماذا تصمت فجأة أيها الحلاق ؟»

يقولها (ساباتينى) دون أن يفتح عينيه .. لكن الصمت هو الإجابة ..

يقف الغريب وراءه ويضع الموسى بدقة وعناية على الوريد الودجى ..

- «إن هذه الموسى باردة فعلاً .. »

قالها (ساباتينى) ثم بدأ يشعر بأنه على غير ما يرام .. ما سر هذا البلل على صدره ؟ بلل لكنه دافئ لزج .. لماذا يشعر بكل هذا الوهن .. لماذا يغوص فى مقعد الحلاقة ؟ لماذا لا يشعـ ......؟

وفى الخارج يقف الحلاق يرتجف يتكلم مع حارسى (ساباتينى) اللذين ذهبا لشراء بعض الشطائر ثم عادا .. أحدهما سمع الأخبار ومد يده يخرج مسدسه ..

هتف الحلاق الدامع وهو يمسك بيده :

- مام ما ميا .. لا تفعل يا أحمق .. لقد مات (ساباتينى) فعلاً فلن تفيد شيئًا لو مت معه .. هل تعرف من الذى معه الآن فى الصالون ؟»

نظر له الحارس متسائلاً ، فقال الحلاق الاسم الذى جعل الرجال الثلاثة يفرون مسرعين :

ـ « إنه (لوكا) .. (لوكا التركى) !! »

★ ★ ★

كانت الشقة مظلمة خبيثة الرائحة .. هكذا عرفت (عبير) الكثير من الحقائق عن شخصيتها : إنها مطربة حسناء لكنها فقيرة .. الحقيقة الأخرى هى أنها قذرة نوعًا ولا تعرف كيف تنظف دارها ..

الحقيقة الثالثة عرفتها حين بحثت عن مفتاح النور وضغطت عليه : إن (ميمى واندر) يهودية ! عرفت هذا من بعض المتعلقات الدينية الموجودة بكثرة فى الشقة .. أصابها هذا بالجزع لأنها لم تلعب قط شخصية يهودية فى (فانتازيا) .. لكن هذا متوقع على كل حال .. هى فى (برونكس) .. ومن الواضح أنها ستشق طريقها إلى (هوليوود) بشكل أو بآخر لتصير نجمة سينمائية .. إن الأخوة (سام جولدوين) أو (جاك مترو) وغيرهم من أعمدة (هوليوود) كلهم يهود يسعدهم أن يضموا يهودية أخرى إلى مملكتهم هذه .. هى إذن تعيش أعوام الفقر قبل أن تصل إلى الشهرة والمجد ، طبعًا بالاستعانة بنفوذ رجل مافيا قوى يحبها مثل (سكاليتشى) هذا ..

الحقيقة الرابعة التى عرفتها هى أنها ليست وحيدة هنا .. هذا متوقع مع فقرها .. لابد أن الشقة مشاركة ..

هناك فتاة نائمة بكامل ثيابها على الأريكة ..

اسمها (جيل ماكلوسكى) .. ستعرف (عبير) هذا بعد دقائق .. مشروع راقصة أو كما يسمونها Wannabe dancer وهذا متوقع كما قلت لك بالنسبة لصائدتى فرص تبحثان عن طريق للشهرة .. لا توجد مهن كثيرة لفتاة لا تملك عقلاً ولا تعليمًا ولا ذكاء ، وإنما هى جميلة جدًا طموح جدًا .. طبعًا من الجلى أنها يهودية بدورها ..

شعرت بدخول (عبير) ففتحت عينيها ، وقالت وهى تتثاءب كفرس النهر :

ـ « هل تعرفين كم الساعة ؟؟ إن (سكاليتشى) قلق عليك واتصل عدة مرات .. »

فكرت (عبير) فى أن (سكاليتشى) هذا يعانى حالة استحواذ غير عادية ، لابد أنه شخصية فمية أنانية متسلطة .. صحيح أنه فقد ما لا يقل عن سبعة من رجاله هذه الليلة بالذات ، لكنه ما زال متحمسًا .. وإن كانت تدعو الله ألا يكون قد عرف أنها كانت مع المدعو (لويجى بيرازى) ..

قالت (عبير) وهى تنزع معطفها :

ـ « لا توجد سيارات أجرة .. »

ـ « خرجت من الملهى منذ ثلاث ساعات ، ولم تجدى سيارة أجرة ؟ لاحظى أنه كان بوسعك الوصول إلى هنا مشيًا فى ربع ساعة .. »

لم تعلق (عبير) حتى لا تزيد الطين بلة .. هنا سمعت قرعات عالية على الباب ..

اتجهت لتفتحه فوجدت أمامها جدارًا آدميًا يرتدى معطفًا واسعًا ، وقد دس يديه فى جيبه .. ولم تكن ترى وجهه لأن قبعته تغطيه ..

قالت الفتاة النائمة وقد نهضت لترى القادم :

ـ « الأخرس ! لقد جاء يطمئن بنفسه .. »

الأخرس ؟ نعم .. إن سيارته لم تنقلب ولكن عطلها الدخان ..

قال الأخرس من دون أن يتحرك أو يبدو عليه أى انفعال :

ـ « قلق (سكاليتشى) عليك .. لقد غادرت الملهى فى موعدك ، لكنك تأخرت .. بحثنا فى كل مكان .. وقد أقسم لى حارس المشرحة على أن جثتك لم تصل قط .. »

ثم أخرج شيئًا ملفوفًا بمنديل ورقى من جيبه وضحك :

ـ « طبعًا بعدما انتزعت أنفه بمطواتى صرت واثقًا من أنه صادق .. نفس الشىء حدث مع رجل الشرطة فى المخفر .. أشخاص كثيرون فقدوا أنوفهم أو آذانهم هذه الليلة ! »

ابتلعت ريقها ، وتراجعت للوراء ، وأخيرًا وجدت من الصوت المبحوح ما يسمح لها بأن تقول :

ـ « أنت تؤدى عملك جيدًا .. »

ـ « أحب أن أتأكد من دقة معلوماتى قبل أن أبلغ (سكاليتشى) .. والآن أين كنت ؟ »

كنت مع الدون نتآمر على القضاء على رئيسك أيها الأبله .. يعلم الله أننى غير راغبة فى هذا ولا ذاك ، لكن لهؤلاء القوم مزية مهمة هى أن عروضهم لا يمكن رفضها .. لكنها لم تقل له هذا طبعًا بل لفقت قصة طويلة سخيفة عن محاولة سائق سيارة الأجرة أن يختطفها ، ثم عدوله عن ذلك بمجرد أن عرف أنها فتاة (سكاليتشى) .. لقد خرج بها سائق السيارة من (نيويورك) .. اتجه إلى محجر خارج البلدة .. قيد يديها .. طلب منها أسماء من يهمهم أمرها

كى يهددهم هاتفيًا ويطلب فدية .. غافلته وهربت .. لحق بها .. ضربها .. أعادها إلى المحجر .. عرف منها أن ...

- « وهل يستغرق هذا ثلاث ساعات ؟ »

قالت فى غيظ :

- « فى المرة التالية سأحاول تقصير الجدول الزمنى .. سأعمل على أن يتم خطفى وعودتى فى نصف ساعة .. »

عاد يسألها فى ثبات :

- « كيف كان يبدو ذلك السائق ؟ »

بعد لحظة ارتباك قالت :

- « نحيل .. أشقر .. هذا هو كل شىء . »

- « حسن .. سنجده !! »

ثم انصرف دون أن يقول كلمة واحدة ..

أغلقت (عبير) الباب وهى لا تصدق بنجاتها ، فقالت لها (جيل) وهى تتثاءب :

- « كان يجب أن تكونى محددة أكثر .. لقد حكمت بالإعدام على كل سائقى سيارات الأجرة الشقر النحيلين ! غدًا ستكون هناك عدة جثث مشوهة فى مستودع القمامة خارج البلدة .. »

ثم هزت إصبعها فى وجه (عبير) بتحد ، وفى عينيها التمعت نظرة خضراء شيطانية تجيدها كل فتاة خضراء العينين :

- « اسمعى أيتها الحدأة .. أنا أعرف جيدًا أن هذه القصة ملفقة .. لاحظى أننى أراقبك جيدًا وأبلغ (سكاليتشى) بكل نفس من أنفاسك .. لهذا أرجوك أن تكونى أكثر حذرًا وربما أكثر براعة .. »

ثم نهضت وقالت باسمة :

- « تصبحين على خير !! »

★ ★ ★

٦ ـ عرض لا تستطيع رفضه ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. لا أدرى دخلها بالموضوع لكنها جميلة ..

* * *

ظاهرة غريبة أثارت اهتمام رجال شرطة (نيويورك) هي أن هناك جثثًا كثيرة ملقاة فى مستودع النفايات .. واضح أن كلاً من هؤلاء القتلى عذب تعذيبًا مروعًا وهناك من مثل بجثته بعنف .. السمة العامة هى أن جميعهم أشقر نحيل وسائق سيارة أجرة .. وقد ألقيت عدة سيارات أجرة فى النهر ليلة أمس ..

قال رئيس شرطة (نيويورك) فى ثقة :

ـ « على قدر فهمى للأمور هناك قاتل تتابعى جديد يهوى قتل سائقى سيارات الأجرة .. لا أعتقد أن للمافيا أية علاقة بهذه الجرائم .. »

قرأت (عبير) هذه الأخبار فى الصحف شاعرة بالغم ، مزيج فريد من الخوف والشعور بالذنب والارتياع والقلق ..

ماذا ألقاها فى هذا العالم المخيف ؟ المشكلة ليست في أن هؤلاء القوم شرسون .. المشكلة فى أنهم يعدون أنفاسها حقًا .. فى الملهى وفى البيت هناك من يعرف كل شىء عنها ..

لكنها تعيش حياتها .. ما زالت تؤدى عمل المطربة فى ملهى (باليرمو) ..

ـ « ستكون لديك (أنا) أخرى .. بل مئات الـ (أنا) ..

« تلك ليست مشكلة .. لكن ماذا عنى أنا ؟

« مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

« فلن يكون هناك (أنت) آخر .. »

كان (سكاليتشى) يأتى فى كل ليلة مع عصابته ، فيجلس معجبًا بها .. لكن ـ لحسن حظها ـ يجب أن تعترف بأنه لم يضايقها قط أكثر من إرغامها على الجلوس معه وسماع كلامه .. ومن الواضح أن موعد السفر إلى (ميامى) يقترب جدًا .. وكانت تخشى هذه اللحظة بشدة ..

ـ « أعرف أنك ستكون سعيدًا ..

« بلد آخر .. بيت آخر .. واحدة أخرى ..

« الذكريات تتحول إلى قطرات ندى ..

« سرعان ما تجف مع شمس الجنوب .. »

وتستمر الأغنية .. وتقول هى فى نفسها : ما مـن حرف فـى هذه الأغنيـة موجـه لـك .. لا تخدع نفسـك .. إن هـى إلا كلمات مثلها مثل الغزل الصناعى لدى شعراء المعلقات .. لو أحببت شخصًا فلن يكون رجل عصابات .. ولو أحببت رجل عصابات فلن يكون أنت .. ربما كان هو (لويجى بيرازى) .. لا تأخذ هذه الكلمات على محمل الجد فأنا لا أحفظ أغنية أخرى للأسف ..

كان جالسًا فى الصالة يتكلم مع أحد رجاله ، وكعادة الإيطاليين يشوح بذراعه فى عنف .. يقولون إنه لو جاء مريخى إلى الأرض ورأى كيف يتكلم الإيطاليون لحسب الإيطالية لغة إشارة .

الرجل يغادر المكان وقد كلف بمهمة عاجلة .. (سكاليتشى) يقضم سيجارًا وينتظر الشعلة ثم ينظر فى ساعته بقلق ترى ماذا يضايقه هذه الليلة ؟

كانت الأغنية توشك على الانتهاء حين ..

بوووووم !!

دوى الانفجار الرهيب فاهتزت القاعة كلها .. وتساقط الغبار من السقف .. وحين انتهى الضجيج كان الموجودون قد اتخذوا أوضاعًا ثابتة كأنهم فى إحدى اللوحات

الرافائيلية .. من نهض ومد ذراعه يتقى الخطر ، ومن جثا على ركبتيه ، ومن هب واقفًا مستندًا إلى منضدته والرعب على وجهه .. هناك من أطار كأسًا فى الهواء ، فظلت الكأس ثابتة حيث هى فى الهواء لا تقع ولا تتهشم ..

صرخت (عبير) وسقطت على ركبتيها .. ثم فطنت إلى أن الانفجار جاء من الخارج .. شعرت بيد قوية تنهضها وتساعدها على النزول إلى الصالة لتجلس جوار (سكاليتشى) ..

كان ثابت الجنان وإن بدا عليه أنه ينتظر من يأتى له بالخبر اليقين ..

أخيرًا عاد أحد رجاله من الخارج والدخان يتصاعد من ثيابه ، وهو يحمل حذاء فى يده ، وقال فى أسى :

- «ما ما ميا ! لقد انتهى (مورانو) ..»

خلع الرجال قبعاتهم ، ومضغ (سكاليتشى) سيجارة فى ضيق ، ثم رأى أن الذهول على وجه (عبير) فقال مفسرًا :

- « هناك من لغم سيارته لتنفجر عند بدء المحرك .. هذا أسلوب تقليدى .. كل رجل مافيا يتوقع نهايته كلما بدأ تشغيل محرك السيارة .. لهذا قدم لنا صاحب الملهى مساحة بعيدة عن العمران نوقف سياراتنا فيها .. هكذا تنفجر

سياراتنا دون أن تؤذى أحدًا .. فى الأيام السعيدة ـ عهد تحريم الخمور ـ كنا نرى خمسة انفجارات يوميًا ، وكانت السيارة تباع ومعها كتالوج يشرح كيفية تثبيت القنبلة فيها دون إتلاف المحرك .. »

ـ « ومن يفعل هذا ؟ »

هز كتفيه وقال :

ـ « كيف لى أن أعرف ؟ واحد من حزب أعداء النجاح طبعًا .. ما دمت أتلقى الركلات فى مؤخرتى فأنا فى المقدمة .. هذا مؤكد .. »

ثم نظر إلى أحد الرجال وقال :

ـ « ستذهب أنت يا (لورنزو) ما دام (مورانو) لم يعد مستعدًا .. حاول أن تفحص السيارة بعناية قبل تشغيل المحرك .. »

هز الرجل رأسه وانصرف ، على حين أعلنت (عبير) أنها ذاهبة إلى غرفتها لأن الانفجار أرهق أعصابها ..

هز رأسه بمعنى الموافقة ، ثم عاد ينظر إلى ساعته فى توتر ..

* * *

ما إن أضاءت نور الغرفة حتى وجدته هناك .. كان جالسًا على مقعد (التسريحة) ولفافة التبغ الشهيرة بين شفتيه .. إنه (لويجى بيرازى) شخصيًا محتفظًا بطابعه (البوجارتى) الشهير ..

همت بالكلام أو الصراخ لكنه رفع إصبعه إلى شفتيه منذرًا ..

ثم قال وهو يساعدها على الجلوس فى مقعده :

ـ « كانت هذه الطريقة الوحيدة لمقابلتك يا وجه الطفلة .. انتهزت فرصة الانفجار وتسللت إلى حجرتك .. »

ـ « إذن أنت الذى ؟ »

ـ « ليس أنا بل (داريو ذو الوجه السمح) .. إنه كهربائى بارع ، وقد أحكم وضع القنبلة فى أقل من خمس دقائق .. »

ـ « وهل قتلت (مورانو) لمجرد تشتيت الانتباه ؟ »

ـ « بل لأنه يستحق الموت .. إن بينى وهؤلاء القوم حسابًا طويلاً لا تشغلى ذهنك به كثيرًا .. ولكنى لم أتجشم خطر المجىء هنا من أجل هذا .. »

وأخرج قداحة أشعل بها لفافة التبغ .. ثم راح يعبث فى جيب سترته الداخلى وهو يقول :

ـ « حتى هذه اللحظة كنت واضحًا معك .. أنت تعرفين أو تحسبين أنك تعرفين من أنا .. »

فى اللحظة التالية وجدت فى يده شارة معدنية صغيرة يضعها فى حافظة .. لم تفهم معنى هذا فواصل الكلام :

ـ « الآن يمكننى أن أتكلم بصراحة أكثر .. أنا المفتش (جيمس باتينى) من مكتب الاستخبارات الفيدرالى FBL .. »

تراجعت للوراء غير مصدقة ، وهتفت :

ـ « أنت ؟ ومن هو (لويجى بيرازى) ؟ »

ـ « إنه مات منذ زمن .. معلومات الدون صحيحة لكنى أشبه (بيرازى) بشكل غير عادى ومن أصل إيطالى ، لهذا كان من السهل أن أستمر فى أداء دوره .. بالنسبة لرجال المافيا أنا رجلهم الذى عاد من الموت بشكل ما .. صدقينى إن تمثيل الدور ليس سهلاً .. أحيانًا أضطر إلى اتباع أساليبهم بالضبط إلى حد القتل .. »

بدأت تهدأ نوعًا .. هذا يفسر ملامح (شريف) التى يحملها الرجل .. كان بوسعها من البداية أن تثق به ..

ـ « ولكن لماذا لم تقل هذا من البداية ؟ كنا منفردين .. »

ـ « المرء لا يصارح امرأة يلقاها للمرة الأولى بأشياء كهذه .. لكن مراقبتى لك تشى بأن بوسعى أن أثق بك .. من الواضح أنك تريدين الخروج من هذا الموقف .. وإليك عرضى .. »

ثم نفث دخان التبغ كثيفًا فى الهواء ، وأردف :

ـ عفو عام عنك .. ستعتبرين شاهد ملك .. سيتم نقلك إلى ولاية جديدة باسم جديد وعمل محترم .. لن يجدك رجال المافيا أبدًا .. إننى أمنحك فرصة الخلاص .. »

ـ « وماذا علىّ أن أقدمه ؟ »

ـ « معلومات ! الكثير منها .. إن (سكاليتشى) حذر جدًا والدون أكثر حذرًا .. يجب أن تعرفى ما ينتويه هذان الوغدان وأن تمنحينا فرصة اعتقالهما بالجرم المشهود .. سيكون اجتماع (ميامى) بالغ الأهمية لنا .. »

(بالجرم المشهود) .. لسبب ما تصر هذه القصص على استعمال هذا المصطلح بدلاً من (فى حالة تلبس) .. أما اللصوص فلا يقبض عليهم ولكن يتم (توقيفهم) ويأخذونهم لا إلى قسم الشرطة بل إلى (المخفر) .. كما أن القتلى يقوم بتشريحهم (الطبيب العدلى) بدلاً من (الشرعى) ..

فكرت قليلاً ثم قالت :

ـ « لو كنتم متعهدين بحمايتى ، فأنا أقبل .. لا أحتاج إلى وقت طويل حتى أقرر الجانب الذى أنضم إليه .. أنتم (الأشخاص الطيبون) كما تقولون فى الأفلام ، وإن كنت لا أقولها مستريحة .. »

ـ « فى عالمنا هذا لا يمكن محاربة الذئاب إلا بذئاب .. فقط العبرة بالمكان الذى تتقاضين منه راتبك فى نهاية الأسبوع .. »

ثم نهض وقال وهو يتأهب للرحيل :

ـ « خذى الحذر يا وجه الطفلة .. أنت تعيشين فى عالم خطر .. »

* * *

فرغ رجل الشرطة من الإدلاء باعترافه .. المشكلة كانت هى أنه عاجز تمامًا عن تبين ذلك الذى يستجوبه ..

إن الضوء على وجهه هو بينما الآخر فى الظلام الدامس .. مقيد هو بالشريط اللاصق تمامًا إلى حد أنه لا يستطيع تحريك أصبع يده ، وكان فمه مكممًا منذ دقائق إلى أن أزال خاطفه الكمامة كى يمكنه من الكلام ..

جاءه صوت الآخر باردًا قاتمًا أسود :

ـ « هل هذا كل شىء ؟ »

ـ « كل شىء .. »

ـ « هل من كلمات أخيرة ؟ »

فطن لما يريد الرجل قوله فصاح فى عصبية :

ـ « أنت قلت إنك لن تقتلنى إذا تكلمت .. »

ببرود قال الآخر وهو يقف خلفه تمامًا :

ـ « لم أقل هذا .. قلت إننى سأختصر آلامك .. وأنا أبر بوعدى .. »

كان رجل الشرطة يعرف لماذا هو هنا .. السبب هو أنه لم يسمح بإطلاق سراح (باريللى) بكفالة .. زملاؤه قالوا له إن الرجل يعمل مع الدون شخصيًا وأنه من الحكمة إطلاق سراحه .. لكنه كان مصرًا ..

جاءه (فيليب) المحامى .. محامى الدون .. وقال له :

ـ « إن الدون سيقدم لك عرضًا لا تستطيع رفضه .. »

هنا أصابه الجنون وهتف فى غيظ :

ـ « هل هذه رشوة ؟ قل لى أين مكتبك ولسوف نغلقه لك .. »

قال المحامى فى برود وهو يجمع أوراقه :

ـ « ليس لى مكتب .. أنا أعمل لزبون واحد فقط هو الدون (مولدانو) .. وثق أن ما يدفعه لى يكفينى .. »

كان هذا أمس .. واليوم هو هنا مقيدًا إلى مقعد فى غرفة مظلمة .. وهناك من يتحدث عن اختصار آلامه ..

ـ « كنت سأطلق عليك الرصاص ، لكنى وجدت أن على أن أنمى مهاراتى قليلاً ، هل تعرف طريقة التنخيع ؟ إنهم يغرسون خنجرًا فى مؤخرة العنق لتمزيق النخاع الشوكى من تحت الجمجمة .. إن الأطراف تتشنج كلها وتفرغ المثانة نفسها .. ثم يتم الموت فى ثانية .. »

هتف الشرطى البائس فى جزع :

ـ « من أنت ؟ »

قال الواقف خلفه وهو يلهث بحرارة فى مؤخرة عنقه :

ـ « هذا من حقك .. حين تلقى زبانية الجحيم قل لهم إن من قتلك يدعى (لوكا التركى) .. »

هنا تذكر الاسم ..

تذكره بينما طرف الخنجر يشق طريقه عبر الأنسجة الهشة فى ...

* * *

(ميامى) رائعة الجمال .. هذا شىء لا تنكره .. ولكن من يستطيع الاستمتاع بإجازة فى (ميامى) وهو يقضيها مع زعيم مافيا ؟

الشمس .. الشاطئ .. الوجوه الحسنة .. الفنادق الفاخرة .. لكنها تعرف أن هذه قشرة براقة تغلف بركة قذرة عطنة ..

كان (سكاليتشى) يستمتع بكل سنت من ماله الحرام ، وقد ارتدى نظارة سوداء وقميصًا زاهى الألوان مشجرًا فتح أكثر أزراره كاشفًا عن كرش ـ لا يوجد صدر لدى هذا الرجل ـ بدين مغطى بالشعر .. وقلادة ذهبية عملاقة تتدلى لتغطية منظر الوغد الثرى الذى يريده ..

وقد جلس فى الشمس يراقب الماء ، وأمامه كوب من الآيس كريم ، تخرج منه مظلات وشفاطات وأشياء غريبة جدًا .. لكنه طبعًا لم ينس السيجار الغليظ .. وكانت جواره زوجته الحسناء ابنة صديقه (أنستاسيا) .. إن رجال المافيا يتزوجون من بنات بعضهم لكنهم لا يخلصون لزوجاتهم أبدًا .. وكلهم يعرف هذا ويفهمه ..

كانت (عبير) جالسة بقربه تحاول قراءة جريدة ..

كان يلوح بيده من حين لآخر محييًا أوغادًا يشبهونه تمامًا ،

إنهم من رجال العصابات كما هو واضح .. كل منهم محاط بخمسة من الفتوات ..

ـ « (بابلو) !! يا لها من مفاجأة .. (ماريو) هنا ؟ يا للبهجة ! »

أما هؤلاء الذين يبدون كعمال النظافة فهم فيدراليون .. عملاء فيدراليون يحاولون فهم ما يحدث هنا ، لكن من دون جدوى لأنهم لا يستطيعون الاقتراب .. والكل يعرف أمرهم على كل حال ..

كان هناك صحفى نحيل متحمس التقط صورة للجالسين ، وأوشك على الفرار بغنيمته ، لكنه فى اللحظة التالية وجد نفسه بين قردين عملاقين ، أحدهما أمسك به من ياقة سترته ، والآخر انتزع منه الكاميرا ..

ـ « لحظة .. أنا صحفى فى .. أنت لن .. »

لكن يد القرد الأول كانت أسرع .. فتح الكاميرا وأخرج الفيلم منها بكثير من الفظاظة وعرضه كله للنور .. بينما أمسك الآخر بالصحفى من سترته وطوح به فى الماء مرتين ثم تركه ليسقط فى الماء ..

ـ « هذا الفتى لا يعرف السباحة .. »

ـ « كان عليه أن يعرفها ما دام ينوى التقاط صور لـ (سكاليتشى) .. »

قال لها (سكاليتشى) وهو يمتص المشروب الملون من كوبه :

ـ « الليلة سيكون هناك اجتماع مهم .. لن يسمح لك أحد بحضوره لكنى راغب فى ذلك .. ولسوف تتعلمين سريعًا أنه لا أحد يجرؤ على رفض طلب لـ (سكاليتشى) .. »

نظرت له فى دهشة ولم تفهم ، فقال :

ـ « أردتك أن تعرفى من السيد هنا .. ولمن يميل ميزان القوة فى (نيويورك) .. »

هنا فهمت ما يريد قوله .. هذا الرجل يحبها حقًا .. أو هو ـ على الأقل ـ يحاول أن ينال إعجابها فعلاً .. ثمة نقطة ضعف مهمة فى الرجال .. إنهم قد يستطيعون إحكام سيطرتهم على المرأة وقد لا يكون لها مفر .. ربما تكون كالعصفور معدوم الحيلة فى يده .. لكنه ما زال يتوق إلى أن تبقى معه لأنها تريد ذلك وليس لأنها تخافه .. ثمة شرخ فى ثقته بنفسه ما انفك يؤلمه .. ما زال يعتقد أنها معه لأنها خائفة ، وهو يرغب فعلاً فى أن تبقى معه لأنها تحبه .. لهذا يحاول أن يبهرها .. لهذا يحاول أن يريها كم هو بارع قوى ..

هنا فهمت ما يريد قوله .. هذا الرجل يحبها حقًا .. أو هو - على الأقل -
يحاول أن ينال إعجابها فعلاً ..

لقد تصرف معها (هانيبال) بالمنطق نفسه ، فلم يمس شعرة من رأسها برغمها .. ولكن (هانيبال) كان فارسًا راقيًا ، بينما لا يمكن أن تتهم (سكاليتشى) بالرقى ..

على الأقل ستنال فرصة لا تحلم بها .. سترى اجتماعًا للمافيا ..



٧ ـ مشروع طموح ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. من الصعب أن تتصور ما يحدث لو لم تكن فى ذهنك ..

★ ★ ★

ـ « هذا لن يكون .. هذا ضد قوانين المافيا .. »

كذا تصايح القوم وهم يجلسون إلى المائدة الطويلة فى قاعة اجتماعات الفندق .. كانوا قد استأجروها قبل الاجتماع بربع ساعة حتى لا توضع أجهزة تنصت فى الغرفة ، وكان هناك ما لا يقل عن عشرين رجلاً مسلحًا يحرس المكان من الخارج .. الإضاءة خافتة قادمة من أعلى لتعطى نفس إيحاء إضاءة فيلم (الأب الروحى) حيث يغطى ظل الحاجبين على العينين .. أكثر الحوار بالإيطالية على سبيل الراحة .. كما تخلع أنت حذاءك الضيق وتدس قدميك فى خف مريح .. ثم إن الإيطالية تمنح المحادثة بعض السرية .. لكن (عبير) تفهم الإيطالية طبعًا ..

قال (باولو جيرالدو) الذى يسيطر على نقابات العمال فى شرق الولايات كلها :

ـ « كن معقولاً يا (سكاليتشى) .. امرأة فى اجتماع المافيا ؟ هذا لم يحدث فى التاريخ .. نحن لا نسمح بوجود رجل ليس نقى الأصل الصقلى ، فما بالك بامرأة ؟ »

وقال (منجينى) المسئول عن بيوت المتعة الرخيصة فى الولايات كلها :

ـ « يجب أن نحافظ على التقاليد العتيدة المحترمة للمنظمة .. »

قال (سكاليتشى) فى ثبات وهو يقضم سيجاره الغليظ :

ـ « نحن هنا فى ملعبى .. والاجتماع اجتماعى .. من يرد الرحيل فليرحل .. الفتاة هى سكرتيرتى وهى المسئولة عن جدول الأعمال .. »

امتدت خمس شعلات إلى السيجار فاختار إحداها ، بينما صمت الآخرون على مضض وإن كانوا يغلون غيظًا ..

ـ « الآن يا (ميمى) اقرئى لنا جدول الأعمال .. »

كان الأمر مضحكًا كأنه مجلس إدارة شركة محترمة .. فقط الموضوعات غريبة بعض الشىء .. بصوت مرتجف بدأت (عبير) تقرأ القائمة :

ـ « الموضوع الأول .. قبول عضوية (برناردو فـابريزى) و(ألبرتو كاسبارى) من (شيكاغو) .. »

قال أحد الجالسين ، وهو رجل كث الحاجبين يبدو كنسر عجوز :

ـ « أوافق على الأول .. أما الثانى فلى اعتراضات عليـه .. إنه ليس صقليًا .. ثم إنه فتى رقيع .. إن للمافيا مستوى شامخًا من الأخلاقيات تفترضه فيمن ينضم لها .. بهذا نطمئن إلـى قدرة العضو على ممارسة القتل والسرقة والتهريب والتزوير والسيطرة على نوادى القمار وبيوت الهوى والملاهى الليلية .. لو تنازلنا لانحدر مستوانا .. »

فكر (سكاليتشى) قليلاً ثم غمغم :

ـ « الحق ما تقول .. تأكدوا إذن من أن (فـابريزى) سيتم كل الطقوس بشكل صحيح .. »

طقوس الانضمـام للمافيـا أكثرهـا سرى هـى أقرب إلـى الكهنوت .. لكن تتضمنها قسم دم وأن يتلـو العضـو القسم وهو يضـع كفـه فى لهب شمعة .. من مصلحة العضو أن يكون القسم قصيرًا إذن ..

ـ « الموضوع الثانى هو الحاجة إلى صندوق لرشـوة السـادة أعضاء الكونجرس المذكورين .. وهم .. »

هتف أحد الجالسين ، وهو على ما أظن (كاسـتيللانى) الشهير بـ (الملاك) :

ـ « لا أرى أن نضغط على جيوبنا فى هذه اللحظة بالذات .. إننى .. »

قال (سكاليتشى) مقاطعًا فى حزم :

ـ « هذه تقاليد (كابونى) العظيـم .. الوجـه ذو الندبـة .. أرى أن المافيا بدأت تتوانى عن رشوة الحكومة ، وفى هـذا نسيان خطير لقواعدنا الأساسية .. »

بعد مناقشـات طـالت ، استقروا علـى تمويـل الصـندوق المذكور على أن يتولـى الإشراف عليه (بـاولو جيرالدو) فهو خبير فى حلب البراغيث ..

ـ « الموضوع الثالث يتعلق بتمويل العملية التالية .. »

هنا فقط ساد الوجوم .. بدا أن الكل يفكر فى عواقب هـذا القرار .. وكانت (عبير) تفتح أذنيها جيدًا ، لكنها لم تستطع أن تفهم شيئًا ..

قال (باولو جيرالدو) ذاته وهو يشعل سيجارًا :

ـ « مام ماميا .. الفـكرة التى تثير قلقنـا يا (سكاليتشى)

هى أنك بلا خبرة فى مجال المخدرات .. إن تهريب المخدرات علم له أساطينه .. وأخشى أن .. »

- « (سكاليتشى) لا يفشل .. إنه ليس أكثر غباء ممن يحصدون الملايين من هذه البضاعة .. »

قالها (سكاليتشى) فى عصبية ، ثم أردف :

- « لا تنسوا أننا سنتعامل مع رمزنا المقدس (لوتشيانو) .. أنصع الرجال سمعة بعد (كابونى) .. لقد قبض عليه رجال الشرطة عام 1935 بتهمة إدارة عدة شبكات للبغاء ، ثم أجريت صفقة مع الحكومة الأمريكية لأنه نجح فى إنهاء إضرابات العمال فى موانىء (نيويورك) إبان الحرب الأخيرة .. هكذا نفى الرجل إلى (نابولى) هناك صار هو مندوب المافيا فى الخارج ، وهو يشرف على كل عمليات تهريب المخدرات .. »

إن (سلفاتورى لوتشيانو) شخصية حقيقية .. وبالنسبة للمافيا هو بطل قومى .. نشأ فى أحياء (نيويورك) الحقيرة حيث تعلم الإجرام جيدًا ، وكان من زعماء المافيا وهو فى الخامسة عشرة من عمره .. ثم صار يعمل مع الدون الرهيب (ماسيريا) ومعه ترقى إلى مرتبة (دون) هو الآخر بعدما تخلص من زعيمه .. والحقيقة أن (لوتشيانو)

كان بعيد النظر حين أدرك أن أمريكا لن تقوى على الاستمرار فى سياسة تحريم الخمور ، لذا فكر فى خطط مستقبلية للعصابة بعد انتهاء التحريم .. وكان الحل الذى وجده هو تجارة الهيروين ..

نعود لاجتماعنا المهم ..

قال (سكاليتشى) من دون حذر (يبدو أن الثقة بالذات مؤذية فى أغلب الأحوال) :

- « ستكون الصفقة هنا خلال أسبوع .. وسيتم توزيع الأرباح حسب الأسهم .. إن السفينة (إيفانجليست) ستقلع من (نابولى) بينما عشرون كيلوجرامًا من الهيروين فى خزانة بحار من بحارتها يدعى (فلدمان) .. أقول هذه التفاصيل لو رغب أحدكم فى التحقق .. »

وهكذا بدأت المزايدات وراحت (عبير) تدون النتائج .. إن سعر المخدرات عال جدًا هذه الأيام بسبب الضربات الناجحة للشرطة الفيدرالية .. لكن معنى هذا أن الربح سيكون خياليًا ..

أخيرًا انتهت العطاءات .. وبقيت بضع نقاط فى جدول الأعمال أنهتها (عبير) بسرعة ..

قال (سكاليتشى) للرجال وهو يشير لأحد التابعين له :

- «لحظة .. هناك شىء أرغب فى أن تروه .. إنه يرمز لصداقتنا .. »

جاءه التابع بصينية .. عليها مضرب ثقيل من مضارب البيسبول .. فتناول المضرب باسمًا ووقف به فى منتصف القاعة ..

قال للرجال وهو يمضغ السيجار :

- «لعبة البيسبول هى ما نفعله نحن .. نلعب بروح الفريق .. كل واحد منا يركض بأقصى ما يستطيع ويصد هجمات الشرطة قدر ما يستطيع .. لكنك لو لم تؤد دورك تخسر اللعبة ، حتى لو لم يكن هناك تهديد عليك .. »

كانت (عبير) تبتسم فى بلاهة لهذا التشبيه ، لكنها رأت وجوه الرجال فرأت الهلع مرتسمًا عليها .. ما لم تعرفه هو أن هذا المشهد هو بالضبط تكرار لمشهد سابق أداه (آل كابونى) فى (شيكاغو) .. لقد تذكروه وارتجفوا هلعًا ..

قال (سكاليتشى) وهو يدور حول الرجال :

- « البيسبول يعلمك بالضبط متى تضرب ومتى تتوقف .. ومتى .. »

وكما توقع الجميع انهال بالمضرب الثقيل على رأس أحدهم ، وكان هذا هو (كاستيللانى) الذى لم يجد وقتًا ليخاف .. انفجر رأسه ، وصرخ الجميع فى رعب عاجزين عن عمل شىء ، بينما الضربات تنهال على رأس الرجل لتكمل المهمة .. بعده جاء دور (منجينى) .. لقد فعل (كابونى) الشىء ذاته يومًا فى الثلاثينات حين هشم رأس (أتسلكى) و(جونيتا) و(سكاليتشى) - واحد آخر - بعد مأدبة عشاء دسمة ..

أخيرًا هدأ (سكاليتشى) فوقف يلهث والعرق يبلل وجهه ، وقال :

- «من أراد أن يعارضنى أو يجادلنى أكثر فليقل ذلك الآن .. »

طبعًا ساد الصمت مع كل هذه الديموقراطية ..

وكان معنى هذا واضحًا .. (سكاليتشى) يحاول أن يتخذ نفس مكانة (كابونى) العزيزة .. ثم هو يعلن نفسه ملكًا على هؤلاء الجالسين وعلى الجريمة فى (نيويورك) .. بمعنى آخر لقد جاء وقت إزاحة الزعيم الشرعى الدون (مولداتو) ..

* * *

احتاجت (عبير) إلى ثلاث ساعات فى غرفتها حتى استطاعت أن تستجمع شتات أعصابها .. كل خلية عصبية كانت متوارية فى ركن ما ترتجف .. فى النهاية استطاعت أن تجلس وعلى ظهر مشط ثقاب فى غرفتها خطت بدقة :

« صفقة مخدرات خلال أسبوع ، السفينة (إيفانجليست) ستقلع من (نابولى) . عشرون كيلوجرامًا من الهيروين فى خزانة بحار من بحارتها . (سكاليتشى) قتل بيده (كاستللانى و (منجينى) .. »

ثم أخفت المشط فى جيب ثوبها .. سيكون عليها أن تنتظر لحظة اللقاء ..

بالواقع بدا كأنما ينتظر حتى تدون هذا ..

- « هل طلبت خدمة الغرف يا سيدتى وجه الطفلة ؟ »

كان الواقف على الباب رجلاً فى الأربعين .. له شارب كث ويضع عوينات ويلبس ثياب خدمة الغرف .. طبعًا من الواضح تمامًا أنه لم يستطع إخفاء ملامح (شريف) .. إنه تنكر لا يخدعها لكنه يخدع سواها ..

سألته فى حذر :

- « بمَ دعوتنى ؟ »

- « وجه الطفلة .. شعرت للحظة أنك تملكين وجه طفلة يا سيدتى .. اغفرى لى وقاحتى .. »

دست مشط الثقاب فى يده وقالت فى حزم :

- « أرجوك أن تتأكد حين تسمع الجرس من أية غرفة جاء الاستدعاء .. »

ثم أغلقت الباب فى صرامة فتوارت ابتسامته المتفهمة ، وعادت لتجلس على الفراش ..

كانت ترتجف من الداخل .. فما قامت به خطير .. لقد رأت ما فعله (سكاليتشى) لمجرد المعارضة الخافتة ، فماذا عن المندسين والعملاء ؟

ولو استطاع البوليس ضبط المخدرات فلمن يتجه الشك ؟ ثمة غريب بيننا فمن هو ؟ وقتها لن يكون مضرب البيسبول هو عقابها .. ستستحق عقابًا لم يرد فى الأساطير الإغريقية ..

لكنها بالفعل ستضيع فى هذا العالم .. ليس فى وسعها إلا المقامرة على أن رجال الشرطة أكفاء حقًا .. يعرفون عملهم حقًا .. وإلا فهى بطة ميتة كما يقولون ..

بعد قليل دق الباب من جديد ..

هل عاد (لويجى) ؟ لا .. من المستحيل أن يجرؤ على الحماقة ذاتها مرتين .

فتحت الباب فوجدت (سكاليتشى) نفسه شخصيًا .. وكان معه حارساه الشخصيان اللذان أشار لهما أن ينتظرا بالخارج .. ما الموضوع بالضبط ؟

دخل الرجل الغرفة ، ونزع قبعته .. رائحة السيجار الشيطانية تخنقها ..

قال لها وهو يتشمم هواء الغرفة :

ـ « أنت سمعت عن (سكاليتشى) يا (ميمى) .. طبعًا لم تعرفى إلا جانبه الرومانسى المرهف .. لكن هناك جانبًا آخر لمحت جزءًا منه فى اجتماع الليلة .. »

جانب رومانسى مرهف ؟ لو كان ما رأته هو الجانب الرومانسى المرهف فمن المؤكد أنها لا ترغب البتة فى رؤية الجانب الآخر ..

هزت رأسها بما معناه أنها تفهم ..

أردف الرجل :

ـ « لا أحد يخدعنى .. هل فهمت هذا ؟ إن القبور تعج بمن حاولوا خداعى ، لكن الجميع تعلم الدرس الآن .. هل تفهمين ؟ »

ومن جيبه أخرج مشط ثقاب .. نفس مشط الثقاب الخاص بالفندق والذى استعملته لكتابة الرسالة !

حك العود ليشعله ثم أشعل سيجاره من جديد ووقف يرمقها بعينين ثابتتين من وراء اللهب ، حتى إن أطراف أنامله احترقت ، قبل أن يهز العود ويلقى به أرضًا ..

ـ « أحيانًا تعتقد فتاة حمقاء أنها قادرة على خداعى .. لكنها تدفع الثمن غاليًا .. »

هنا فقط بدأت ساقاها تتحولان إلى عودين من المكرونة المسلوقة أو (الباستا) فى وجود كل هؤلاء الإيطاليين .. فتحت فمها لتبكى أو تعترف أو تطلب الرحمة لكنها لم تجد الصوت الكافى ..

قال وهو يتأمل مشط الثقاب فى اهتمام :

ـ « أنا أكره العنف مع النساء لكننى مضطر لذلك .. »

هتفت فى ذعر :

ـ « عم تتحدث بالضبط ؟ »

نظر لها فى هدوء وأخرج سحابة دخان وقال :

ـ « عن زوجتى طبعًا .. إنها كانت تحب ذلك الوغد (كاستيللانى) ! »

تنهدت (عبير) الصعداء ، واندفعت الدماء من جديد كالشلال إلى وجهها وهتفت :

- « آه ه ه ه ه ! ألهذا قتلته ؟ »

- « من ضمن الأسباب .. لكنى لن أقتلها .. فهى ابنة صديق عمرى (أنستاسيا) .. العلاقات بين الإخوة فى الأسرة أقوى من هذه السفاسف .. سأكتفى بتعذيبها وأن أحيل حياتها جحيمًا .. »

ثم نظر لها وابتسم :

- « أعتقد أن هذا الخبر أسعدك .. لم أرك مرتبكة بهذه الدرجة من قبل .. »

ثم ناولها مشط الثقاب ، وقال وهو يخرج :

- « سنعود إلى (نيويورك) صباحًا .. لقد أنهيت أعمالى هنا .. »

أعمال ؟ يا لها من أعمال !! جلست على الفراش تستجمع أنفاسها وقلبها يرفرف كطير ذبيح .. ثم نظرت إلى مشط الثقاب .. لا يوجد شىء .. طبعًا .. كل غرفة فى الفندق بها ذات المشط .. لكنها لم تشعر بالرعب قط مثلما شعرت به فى هذه اللحظة ..

* * *

٨ ـ حكم بالإعدام ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. أحيانًا تشعر بأنها أجمل من أن ترتبط بهذا العالم المريع ..

* * *

الماء يتدفق فى الحمام .. وأكثر من خمسين (دشًا) مفتوحًا والأرض مبتلة زلقة ..

يقف السجناء يستحمون ويثرثرون ناعمين بهذه اللحظة الوجيزة من النظافة .. بينهم يقف (جو الصقلى) يغمر نفسه برغوة الصابون ، وكما هو واضح فإن (جو) رجل مافيا .. لهذا يهابه السجناء ويتحاشون إغضابه ..

الآن فقط شعر المساجين بشىء ما مقلق ..

إنه ذلك السجين الذى لم يروه من قبل والذى يقف عند الباب .. إنه يلبس ثياب السجن كاملة ، لكن وقفته الواثقة المخيفة ولفافة التبغ بين شفتيه كلها تقول إنه ليس سجينًا عاديًا ..

وكأنما أدوا بروفة هذا المشهد مرارًا راح السجناء يتسللون خارجين من المكان فى صمت .. الواحد تلو الآخر ..

(جو الصقلى) يغسل رأسه والفقاقيع تملأ عينيه .. لهذا لا يدرك ما حدث .. لا يدرك أنه صار وحده تمامًا فى الحمام .. لا يدرك أن هذا الغريب الغامض صار خلفه الآن ..

زالت الرغوة من عينيه وراح يلهث من فرط الماء المتدفق من حاجبيه وشعره على وجهه .. هنا فقط أدرك أنه وحيد ..

التفت للوراء يتساءل هنا سمع صوتًا يقول له :

ـ « هذه مع تحيات الدون يا (جو) .. »

ومر نصل المدية تحت ذقنه فى سرعة وحزم وفعالية ..

لكنه كان قد مات من الرعب قبل أن يصل النصل لأى شىء ؛ لأنه عرف على الفور الصوت الذى سمعه .. هذا صوت (لوكا التركى) .. وهكذا مات من قبل أن يموت ..

لقد قال لضباط الشرطة منذ أسبوع إنه سيتكلم .. سيحكى كل شىء يعرفه عن الدون (مولدانو) .. مقابل أن يصير

شاهد ملك ، ويقوموا بحمايته .. لكنه لم يتصور لحظة أن هذا الخبر سيتسرب .. لم يتصور أن الأسرة ستعرف كل شىء .. ولم يتصور أنها سترسل له من يسكته وهو فى السجن .. أما آخر ما تصوره فهو أن يكون القادم هو (لوكا التركى) بالذات .. إن الأسرة تعطيه مكانة لا يستحقها ..

فكر فى هذا كله بينما روحه تفارق جسده ، و (لوكا التركى) يغادر المكان مسرعًا ..

* * *

على المسرح تواصل (عبير) غناء أغنيتها الشهيرة :

ـ« ستكون لديك (أنا) أخرى .. بل مئات الـ(أنا) ..

» تلك ليست مشكلة .. لكن ماذا عنى أنا ؟

» مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

» فلن يكون هناك (أنت) آخر .. »

كان (سكاليتشى) جالسًا فى الصالة كالعادة يثرثر مع رجاله .. وطلب أحد الرجال منه أن يدخل دورة المياه فأذن له .. بعد قليل عاد الرجل ويده فى جيبه .. على الفور انطلق الرصاص

ليقتله .. لقد صار هذا مملاً .. لابد أنها رأت المشهد خمسين مرة حتى الآن ..

-« أعرف أنك ستكون سعيداً ..

« بلد آخر .. بيت آخر .. واحدة أخرى ..

« الذكريات تتحول إلى قطرات ندى ..

« سرعان ما تجف مع شمس الجنوب .. »

أحد رجال (سكاليتشى) غادر الملهى ليقوم بمهمة ما .. ثم .. بروووووم ! دوى الانفجار المعتاد .. لا توجد سيارة مافيا غير ملغمة على ما يبدو ، حتى إن رجال المافيا يتوقون - فى ظنها - إلى أن يجربوا السرعة الثانية أو الثالثة فى سياراتهم لكن القدر لا يمهلهم .. لابد أن هناك كهربائيًا بارعًا كون ثروة من هذه المهنة : تلغيم السيارات .. ولابد أن كهربائيى المافيا يعلقون لافتة (تلغيم السيارات) إلى جوار لافتة (تركيب أجهزة الإنذار والسنتر لوك) ..

كان (سكاليتشى) يزداد شرودًا وهمًا ، وصار عصبيًا بالفعل .. إلى حد أنها تجاسرت ذات مرة وسألته عما يضايقه ، فقال وهو يقضم سيجاره :

- « لا شىء .. »

- « هل السبب هو زوجتك ؟ »

قال وهو يشعل طرف السيجار :

- « لا .. لقد عادت إلى حبى بمجرد أن رأت أذن (كاستيللانى) فى علبة مجوهراتها .. إن قلب النساء ساذج يسهل خداعه بسهولة .. تصورى أن هدية بسيطة كهذه جعلتها تخلص لى إلى الأبد ! »

- « إذن ؟ »

نظر إلى النافذة حيث كان الميناء يبدو من بعيد وقال :

- « إنها صفقة (الهيروين) تلك .. »

- « إنها قادمة .. هل حدث شىء ؟ »

- « لا .. لكن لو حدث شىء لانتهيت أنا .. »

فكرت قليلاً ثم قالت وهى تتظاهر بأنها لم تبلغ كل شىء للشرطة :

- « هل سيتكلم البحار ؟ »

- « لا .. هو لا يعرف مع من يتعامل .. لكن المشكلة هى أننى استثمرت كل رصيدى .. كل أموال رجال العصابات

فى هذه الصفقة .. لو ضاعت المخدرات لضعت أنا .. وصدقينى إن الوقوع فى قبضة الشرطة لأكثر رحمة .. »

ولم تكن (عبير) تعرف طبعًا أنه فى هذه اللحظة بالذات كانت السفينة (إيفانجليست) تدخل إلى الميناء ..

★ ★ ★

اندفع الرجال الذين يشبهون رجال العصابات فوق ظهر السفينة .

كلما اعترض طريقهم أحد لوحوا بشاراتهم المعدنية :

ـ « نحن من الـ FBL .. أين (فلدمان) ؟ »

على كل حال لم يكن من داع لإبراز الشارات لأنهم كانوا قادرين على فعل ما يريدون .. كل واحد منهم يشبه بوابة (المتولى) ذاتها .. يرتدون القبعات والبذلات التى توشك على الانفجار من فرط ما تحتها من عضلات ، ووجوه شرسة وسلطة فى العينين تقول ببساطة : نحن من عتاة المجرمين أو من عتاة المخبرين الذين يقبضون على عتاة المجرمين ..

وبعد ثوان ظهر البحار المثير للشفقة (فلدمان) .. إنه

نحيل مصاب بفقر الدم يوشك على السقوط أرضًا من الهلع والرعب .. الحق أن المشهد بدا أقرب إلى دجاجة هزيلة فى يد جزار عملاق ..

ـ « أين خزانتك ؟ هنا !! »

وبكثير من العنف والدفع اقتيد الرجل إلى الخزانة .. إلى حد أنهم لطموا وجهه ببابها المعدنى .. فتحها وهو يرتجف رعبًا .. فى الداخل كانت هناك صور لـ (استر ويليامز) و(مارلين مونرو) كأى خزانة بحار .. لكن كانت هناك أيضًا تلك الحقيبة الثقيلة العملاقة التى امتلأت بأكياس .. الأكياس من (النايلون) الشفاف تحوى ما يشبه مسحوق الأسبيرين ..

كما يحدث فى السينما أفرغ أحدهم كيسًا على ظهر يده وتشممه .. فى الحقيقة لم أر قط من يفعل هذا ثم يقول : لقد أخطأنا .. كأن عملية الشم ذاتها هى تحليل الطب الشرعى النهائى ..

لقد تم ضبط الكمية كلها ..

ووجه أحدهم لكمة إلى معدة البحار .. فسقط أرضًا وهو يعوى .. هنا ركله أحدهم فى وجهه ..

سأل أحدهم الآخر :

ـ « لماذا نضربه ؟ إنه فى قبضتنا .. »

قال زميله وهو يركل البحار المكوم على الأرض :

ـ « لا أدرى .. إن هذا يجعلنا نظهر فى صورة الرجال شديدى المراس المحترفين .. ثم إن الخلاص من المشاعر العدوانية أمر لا بأس به .. »

تذكر أحدهم أن امرأته اتهمته بأنه لا يعطيها مالاً كافيًا .. لهذا كور قبضته و .. بوم !

تذكر آخر أن ابنه فر من البيت .. لذا رفع ركبته و ... طاخ !

الثالث تذكر أن رئيسه وغد وربما معتوه .. باوم !

أما الذى وثب فى الهواء وهوى بقدميه على الرجل فقد فعل هذا لأنه ساخط على سيطرة الديموقراطيين على الحكومة .. طراخ ! أى !

أخيرًا سقط (سكاليتشى) فى الشرك ..

★ ★ ★

كان هذا هو الاجتماع الأهم فى تاريخ (نيويورك) ..

على أننا يمكن أن نتخيل جوه لو أننا تذكرنا الاجتماع السابق ..

فقط ليكن كل شىء بالعكس .. لن يكون (سكاليتشى) هو الحاكم الآمر .. ولن ينفش صدره .. سيجلس كالدجاجة التى سقطت فى إناء شربها وابتل ريشها بالماء .. سيغمر العرق جبهته .. سيرتعش ..

(عبير) تجلس عن كثب تدرك بوضوح خطورة موقف هذا الرجل الذى كان يعد نفسه لزعامة (نيويورك) ..

الجميع هنا .. (باولو جيرالدو) .. (ماردينى) .. (جويسيبى بربارا) .. إلخ .

النظرات حادة ثاقبة كلها مسلطة على وجهه فلو أن النظرات تقتل ...

كان (سكاليتشى) حذرًا ، فقد كان يعرف هذا الطراز من الدعوات .. إن المافيا تتبع تقليدًا شبيهًا بالعشاء الأخير ، فيه يتم دعوة العضو المرشح للإعدام إلى الطعام فى مطعم فاخر .. شموع .. موسيقا .. ثم تنتهى العملية ..

لهذا حرص من البداية على أن يجلب معه جيشًا من رجاله لحمايته .. كانوا يقفون وراءه وأيديهم على بنادقهم الآلية .. وكان رجال المافيا الآخرون قد اتخذوا إجراءات مماثلة ..

يقول (جيرالدو) :

- « (سكاليتشى) .. أنت تعرف ما نريد قوله .. أنت مسئول مسئولية تامة عن فشل العملية .. »

صاح (سكاليتشى) موشكًا على البكاء :

- « فقط لو عرفت كيف عرف الفيدراليون .. »

- « النتيجة واحدة هى أنهم عرفوا .. الآن حسب قوانين الأسرة أنت مسئول بالكامل عن إعادة نقودنا .. لن يلقاك أحد بابتسامات متفهمة .. متى تتوقع أن تعيد لنا مالنا ؟ »

لا يتوقع .. (عبير) تعرف هذا جيدًا .. إن المبلغ جسيم ولو باع كل أملاكه فلن يتمكن من ذلك .. لكن ماذا بوسعه أن يفعل ؟

قال بصوت مبحوح :

- « أنا أطلب أن تمهلونى أسبوعين .. »

- « بل هو أسبوع واحد .. »

وفكرت (عبير) .. سبحان مغير الأحوال .. منذ أيام كان هذا الرجل يجلس كالملك يدخن سيجاره فى ثقة ، بل إنه وصل إلى أعلى درجات السيطرة حين هشم رءوس رجاله بالمضرب .. أما اليوم فهو يستأذن هؤلاء الرجال فى أسبوعين ..

كما كانت تعرف أن هناك بعض الجالسين هنا ممن كانوا يحبون (كاستيللانى) و (منجينى) .. هؤلاء لم ينسوا من قتل هذين بلا سبب إلا ليبدو زعيمًا لا يمزح ..

قال (سكاليتشى) وهو ينهض :

- « حسن .. سأتصل بكم بعد أسبوع لإعادة المال . »

لكنه لن يفعل .. (عبير) كانت تعرف هذا .. وكانت تعرف أن الحكم بالإعدام صدر عليه فعلاً ..

هى لا تبالى ولا تشفق عليه لحظة .. على من يلهو بالنار أن يحترق بها .. لكن ما دورها هى فى كل هذا ؟ وأين تذهب ؟ تذكرت كتكوتًا صغيرًا رأته ذات مرة يركض فى الشارع بين عجلات السيارات .. لا يعرف لأين يذهب ولا ماذا يفعل .. كان ميتًا لا محالة .. لكن المشكلة كانت أنه يعرف هذا ..

متى يتصل بها (لويجى بيرازى) أو المفتش (جيمس باتينى) حسب التعديل الأخير ؟

* * *

٩ـ الإعدام نفسه ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. لا أدرى من أين .. هل فتح أحدكم جهاز التسجيل ؟

* * *

فى الواحدة والنصف بعد الظهر ، مشى (سكاليتشى) فى شارع (آرثر) متجهًا إلى محل (مازارو) للخضراوات ..

الحقيقة أن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة .. وكان الرجل الحريص على كل شىء فى تفاصيل حياته ، والذى يقود سيارته بسرعة البرق ولا يظهر فى ذات المكان مرتين أبدًا ، قد تخفف من حراسته وقرر أن يمارس حياته البسيطة القديمة .. أن يتناول الغداء فى الشارع وأن يبتاع خضرًا وفاكهة .. وهى عادة يلجأ إليها من حين لآخر ..

كانت هذه هى النقطة ..

لقد راقبه رجال المافيا أسبوعًا كاملاً وقد عرفوا أنه لن

يستطيع رد أموالهم أبدًا .. وهكذا فى ظروف خاصة كهذه عاد الكثير منهم إلى الدون (مولدانو) ليبدوا ندمهم .. لا أحد يستطيع أن ينتصر على الدون .. لا أحد يمكن أن ينفصل عن الدون .. كل واحد منهم انحنى ولثم الخاتم فى يد الرجل .. ثم أعلن ولاءه .. بل إن كلاً منهم ناداه بـ (أبى) .. وهذا يعلن عن اعترافه التام بأنه الأب الروحى للمنظمة ..

قال لهم الدون فى رضًا :

- « لقد تأخرتم كثيرًا يا حمقى .. الآن وبعدما ضاعت أموالكم تأتون إلى لتقولوا (أبى) .. أنا لا أستطيع أن أرد لكم أموالكم .. إنها لدى الفيدراليين الآن .. »

- « إذن هو الانتقام .. أنت تعرف أن (سكاليتشى) حذر ورجاله لا يفارقونه .. »

- « ما من عدو للدون آمن فى بيته .. »

وصدرت التعليمات لرجال الدون كى يراقبوا (سكاليتشى) جيدًا ، وكان أن عرف رجاله هذه الثغرة فى جدار الرجل الأمنى .. وهكذا صدرت التعليمات باقتناص هذه الفرصة ..

كان (سكاليتشى) يمشى فى الشارع يبعث التحيات الإيطالية المرحة لكل البقالين على الجانبين .. إنهم يحبونه ويحترمونه .. نعم .. فهو رجل اجتماعى خدوم أو هذا ما يرونه منه ..

دخل متجر الخضراوات فنهض صاحبه يحييه باحترام ، ثم تنحى جانبًا لأنه يعرف مقت الرجل للمراقبة ..

انهمك (سكاليتشى) بين أنواع الطماطم والفاكهة ، فلم يلحظ السيارة التى توقفت أمام المتجر .. هذه سيارة مميزة لأن أرقامها تتغير من ثانية لأخرى كأنها الآلة الحاسبة التى يضعها البقال على الكاونتر .. فى لحظة هى من (أوهايو) وفى لحظة هى من (نيويورك) ..

أما من ترجل من السيارة فكان شخصًا مميزًا بثيابه السوداء وحذائه الأبيض وصندوق الكمان الذى يحمله ..

يسهل على من يدقق النظر أن يفهم أن هذا الرجل يعزف مقطوعات من نوع غريب بعض الشىء ..

يدخل المتجر .. يقف فى الظل يراقب المجرم الذى فقد عرشه .. ثم يمد يده إلى علبة الآلة الموسيقية ، يدس يديه فى قفازيه الأبيضين ، وفى رفق وحنان يتحسس بندقيته الآلية الناعمة البراقة ..

يخرج البندقية .. يصوبها نحو (سكاليتشى) ..

هنا - بغريزة الذئب - سمع (سكاليتشى) صوت السلاح وهو يستعد للإطلاق .. فى يده أجاصة لم يعد يعرف ما يفعل

بها .. كاد يركض لكنه عرف أن الواقف أمامه هو (لوكا التركى) نفسه ..

عندها عرف أنه لاداعى لإضاعة الوقت والكبرياء فيما لانفع منه ..

قضم قضمة من الأجاصة وابتسم ابتسامة باهتة متحدية كى يذكرها من يأتون بعده ..

قال (التركى) :

- « هذه من تحيات الدون (مولدانو) يا (سكاليتشى) .. »

ماذا ؟ ما دخل الدون بهذا ؟ لقد حسبه مستأجرًا من قبل شركائه الذين فقدوا أموالهم .. فما دخل الـ ...

راتاتاتاتاتا !!!

وسقط (سكاليتشى) على الأرض .. مشكلة الموت المفاجئ هى أنه لايترك لك الفرصة لإشباع فضولك .. وما كان ليضير (التركى) شىء لو أجاب عن الأسئلة ثم أطلق الرصاص ؟ لكن كل هؤلاء القتلة قساة القلوب ..

الدخان يفعم الهواء .. وصاحب المتجر قد بال فى سراويله هلعًا ، هنا يعيد (التركى) بندقيته بعناية إلى علبة الكمان .. يتجه إلى الباب فى صمت ويستقل سيارته وينصرف ..

لقد عرف جميع سكان الشارع أنه (لوكا التركى) ..

لكنهم جميعًا عرفوا أنهم لن يذكروا اسمه للشرطة .. لو ذكروا اسمه فلن يجدوا مكانًا آمنًا على وجه الأرض بقية حياتهم ..

* * *

وفى اليوم ذاته تلقى أخوا (سكاليتشى) طردين .. فتح كل منهما طرده فوجد فيه سمكة متعفنة .. هذه البرقية القصيرة قوية الرائحة جعلتهما يعرفان الخبر مبكرًا جدًّا ..

أما أول من عرف بالخبر فى (نيويورك) من خارج المافيا فكان (عبير) ذاتها .. لقد جاءتها مكالمة هاتفية حيث كانت فى حديقة (سكاليتشى) فى بيته الفاخر .. كانت جالسة ـ طبعًا مرغمة ـ تتأمل حمام السباحة وتفكر مهمومة فى طريقة الخروج من هذا كله .. دق جرس الهاتف مرارًا فلم يأت من يرد عليه .. كانت وحيدة تمامًا .. هكذا نهضت إلى البار وتناولت السماعة .. سمعت الصوت يقول لها :

ـ « كيف حالك يا وجه الطفلة ؟ »

ارتجف قلبها وقد أدركت أن هناك من يذكرها ويعنى بأمرها ..

« لكننى مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

« فلن يكون هناك (أنت) آخر .. »

ـ « (سكاليتشى) مات الآن .. »

من جديد ارتجف قلبها .. كانت تتوقع النبأ منذ الاجتماع الأخير لكن وقعه كان رهيبًا .. هؤلاء القوم يتصرفون كأنهم القدر .. حكم إعدامهم لا يمكن استئنافه ..

من جديد عاد الصوت يقول :

ـ « ستتصرفين بسرعة البرق .. لا وقت للانفعالات .. الآن تدخلين إلى غرفة مكتب (سكاليتشى) .. كل رجاله سمعوا بالخبر وتركوا البيت .. أنت وحدك تمامًا .. فتشى المكتب جيدًا .. هذا الرجل غير حذر وواثق من نفسه .. أعنى أنه كان كذلك .. سوف تجدين رسائل وأرقام هاتف وأسماء .. ضعى هذا كله فى جيبك .. ثم غادرى البيت .. ستجدين سيارة شرطة واقفة بالخارج فاركبيها بسرعة وبلا تردد .. لا تنتظرى لحظات إلى أن يحدد القناص مكانك ! »

ـ « هل هناك قناص ؟ »

ـ « لابد من واحد .. إن هذه الفرضية تعطيك عمرًا أطول .. »

من دون كلمة أخرى ، وثبت (عبير) .. تعثرت فى مقعد صغير لكنها تماسكت ونهضت .. ركضت داخل الدار .. إنها

تعرف أين يقع مكتب (سكاليتشى) بالضبط، وفى العادة يكون هناك أكثر من ثلاثة رجال جواره، أما الآن فالبيت كله خال .. فتحت الباب فرأت المكتب مغمورًا فى ضوء خافت يتسلل من ستائر النافذة الثقيلة ..

اتجهت كالملهوفة إلى المكتب ذاته .. ومن دون تفكير راحت تجمع كل ما وجدته عليه من أوراق .. مفكرات صغيرة .. تلهث .. تلهث .. لو أن أحدًا رآها فلن تكون هناك أسئلة .. قرار الإدانة مرسوم على وجهها ..

وضعت ما وجدته فى جيبها .. حتى الأقلام جمعتها .. حاولت فتح الأدراج كلها لكنها كانت موصدة .. يكفى هذا .. يمكنها أن تفر ..

لكن حب الإجادة تغلب عليها .. هناك سلسلة مفاتيح ذهبية ملقاة على المكتب تتدلى منها مفاتيح غريبة الشكل لها مقبض جلدى .. تناولت أحدها وجربت فتح الأدراج .. إنها تنفتح ..

المزيد من الملفات الدسمة .. هذه لا تصلح للوضع فى الجيب بل يجب أن تحملها تحت إبطها .. الآن يجب أن ..

- «لا تتحركى يا حسناء !»

رفعت (عبير) وجهها وقد تجمدت الدماء فى عروقها ..

كانت هذه (ماريا سكاليتش) زوجة الفقيد .. كانت واقفة على الباب وهى تمسك مسدسًا بكلتا يديها . وقد بدت كالعقرب .. بالضبط كالعقرب إذ وقفت هناك على الباب ..

تبًا ! كيف نسيت (عبير) هذه الحدأة ؟

قالت المرأة وهى تحاول ألا ترتجف يدها :

- «من البداية أنذرت (فرانشسكو) الأحمق بأننى لا أستريح إليك كثيرًا .. لكنه فضل أن .. »

تذكرت (عبير) مشهدًا لم تستطع نسيانه من فيلم (الطيب والشرس والقبيح)، حين كان (إيلى والاش) فى مغطس الحمام واقتحم عليه المكان قاتل يبغى رأسه .. راح القاتل يثرثر ويتشفى فى خصمه معدوم الحيلة الجالس فى المغطس .. هكذا أخرج (والاش) المسدس من تحت رغوة الصابون وأفرغه فى المهاجم .. ثم بصق عليه وقال فى اشمئزاز : كلام .. كلام .. لماذا لا تطلق الرصاص يا أحمق ؟!

تذكرت هذا المشهد فى ربع ثانية، وهى تلتقط تمثالاً على المكتب يستخدمه (سكاليتشى) كثقل للورق .. قذفت به فى وجه المرأة وهى تثب جانبًا .. هكذا سمعت صوت الارتطام



كانت واقفة على الباب وهى تمسك مسدسًا بكلتا يديها .. وقد بدت كالعقرب ..

مع الطلقة فى آن واحد ، وسقطت زوجة (سكاليتشى) مع التمثال على الأرض .. لم يكن ثمة وقت كاف لمعرفة هل ماتت أم فقدت الوعى أم تتظاهر بإحدى الحالتين ..

لقد وثبت (عبير) من فوقها واندفعت حاملة غنيمتها كالمجنونة نحو الباب ..

الحديقة .. الحديقة .. هؤلاء الحمقى تركوا البوابة مفتوحة ..

هذه سيارة شرطة .. نعم .. سيارة شرطة وسائقها ينظر لها حائرًا لا يعرف من أين جاء صوت الطلقة ، هنا فتحت الباب الخلفى وألقت بنفسها إلى الداخل ..

- « انطلق !! »

كان هذا هو صوت (لويجى بيرازى) أو المفتش (جيمس بانينى) من جوارها ، لقد كان جالسًا فى المقعد الخلفى طيلة الوقت ، وإن بدل ملامحه قليلاً كى لا يتعرفه أحد ، وغاص فى مقعده تحت مستوى النظر .. وسرعان ما راحت العربة تطوى الأرض نهبًا وتتهبها طيًا - معذرة على الخطأ لكنه التوتر - بينما راحت (عبير) تنشج وترتجف ..

« مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

« فلن يكون هناك (أنت) آخر .. »

ومن دون أن تدرى كيف : أفرغت كل ما فى جيبها فى راحته ، ثم وضعت الملفات على حجره ..

قال لها وهو يتصفح أحد الملفات فى اشمئزاز :

ـ « غباء !! »

ـ « أى غباء ؟ »

ـ « أتحدث عن (سكاليتشى) .. إن الرجل كان يحتفظ بملفات كاملة لنشاطه الإجرامى .. لم أر أحمق من هذا فى حياتى كلها .. هذه الملفات تساوى ثقلها ذهبًا .. »

ثم أخذ شهيقًا عميقًا وقال وهو ينظر إلى الوراء :

ـ « الآن تتحدث مافيا (نيويورك) كلها عن المطربة (ميمى واندر) التى أوقعت بـ (سكاليتشى) وسرقت ملفاته .. طبعًا لن يطول الوقت حتى يتهموك بإفشاء عملية تهريب المخدرات .. »

ـ « هل تقول هذا لتسعدنى ؟ »

ـ « بل لأقول إننا ذاهبون إلى المكتب الفيدرالى .. يجب أن يبدأ برنامج حماية الشهود معك حالاً .. »

اسم جديد .. بيت جديد حياة جديدة .. ربما وجه جديد كذلك ..

إن المفاجآت لا تنتهى يا (عبير) ..

★ ★ ★

١٠ ـ ابحثوا عنها ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. إنها تذكرك بخبرة لم تعشها فى أرض تزرها مع أشخاص لم ترهم قط !

★ ★ ★

كان الدون (مولدانو) يداعب قطته الشيرازية العملاقة المستكينة فى حجرة ، بينما صوت (كاوروزو) الرنان ينبعث من السماعات العملاقة المنتشرة فى الغرفة .

أمامه وقف (لوكا التركى) حاملاً علبة الكمان الشهيرة .. إنه لا يتخلى عنها أبدًا حتى حين يقابل الدون ، وقد فشل الحراس فى أخذها منه .. لكن الدون كان يعرف الرجل .. ويثق به .. الرجل الوحيد الذى يمكن أن يحمل سلاحًا وهو يقابل الدون هو (لوكا التركى) ..

قال الدون فى استمتاع بصوته المبحوح الذى يذكرك باحتكاك (الفوم) :

ـ « أوه .. الأوبرا .. إنها كالماء يقع على نفس صادية بالنسبة لنا معشر الصقليين .. »

لم يعلق (التركى) وظل محتفظاً بقناع وجهه الصخرى ..

أردف الدون وهو يطلق سراح القط :

ـ «لقد سخر الفيدراليون منا .. كانت تلك الفتاة تعمل معهم ، وأنا جلبتها إلى هنا وطلبت منها أن تعمل معنا .. لقد خدعتنى وخدعت (لويجى بيرازى) الأحمق .. والمشكلة الآن أنها تعرف كثيرًا جدًا .. لا أعرف ما قاله لها (سكاليتشى) ولا ما قاله لها (بيرازى) ولا ما وجدته بين أوراق الأول .. الجزء الأخير لم يعد فى أيدينا بل هو فى أيدى الفيدراليين .. لكننا نستطيع علاج ما اقترفنا من خطأ فى الجزء الأول والثانى .. »

قال أحد الواقفين حول الدون ، وهو (فيليب) المحامى :

ـ «على الأقل استطاعت أن تفشل مخطط (سكاليتشى) للتهريب .. هكذا خدمتنا من حيث لا تدرى .. لقد كان (سكاليتشى) يخطط كى يصير الدون فى (نيويورك) .. لقد فشل مخطط (سكاليتشى) وتهمة قتله لا تقع علينا ولكن على شركائه الذين أضاع نقودهم .. »

نظر له الدون فى حدة ، ثم قال :

ـ «لو كان هناك شىء أكرهه يا (فيليب) فهو أن تقاطعنى .. لو أردت رأيك لطلبته .. »

ـ «آسف يا دون (ريكاردو) .. أنا .. »

من جديد قال الدون فى حدة :

ـ «لو كان هناك شىء أكرهه أكثر من المقاطعة فهو أن يدعونى أحدهم بـ (ريكاردو) .. »

انحنى المحامى فى رعب يلثم خاتم الدون ، فسحب هذا يده فى غيظ وصاح :

ـ «لو كان هناك شىء أكرهه أكثر من المقاطعة واسم (ريكاردو) فهو أن يقبل يدى شخص غير صقلى .. »

الآن لم يعد المحامى يعرف أين يذهب أو ماذا يصنع بنفسه .. هنا ـ لحسن حظه ـ عاد الدون يتبادل الكلام مع (لوكا التركى) :

ـ «ستسكت الفتاة أيها (التركى) .. إنها فى مكان ما باسم مستعار .. سنحاول أن نأتى لك بالتفاصيل .. هى فى حماية الشرطة لكنك لا تهتم بهذه الأمور طبعًا .. »

فى برود ومن دون أن يبدو على وجهه أى انفعال قال (لوكا) :

ـ «فليعتمد علىّ الدون .. »

* * *

بيت جديد فى (لوس أنجليس) .. شقة فى الطابق العاشر من بناية شامخة .. اسمها الآن حسب الأوراق هو (جين هارلوت) .. المفترض أنها رسامة .. المفترض أنها غير متزوجة .. المفترض أنها سوداء الشعر .. لقد كانت (ميمى) شقراء ، وقد تعلمت (عبير) أن تصبغ شعرها بعناية وأن تضع العوينات ..

كانت حياتها الآن شبه عادية ، وإن شابها شيئان : أولاً رقم الهاتف الخاص بالطوارئ الذى تحفظه عن ظهر قلب .. ثانيًا تلك السيارة التى تمر بدارها من حين لآخر والرجال ذوو المعاطف الذين يقفون يدخنون تحت نافذتها .. يمكن لأى أعمى أن يعرف أنهم من رجال الشرطة السرية .. هذه الأجساد القوية والنظرات البوليسية الثاقبة لن تخدع أحدًا .. أحيانًا يأتيها صبى البقال حاملاً بقالة لم تطلبها ، وتفتح له الباب فترى ذات السمات .. الحذر .. الغموض .. الذكاء يشع من العينين .. فتدرك أنهم يتأكدون من أن كل شىء على ما يرام .. يبتسم لها ابتسامة ذات معنى ثم يرحل ..

حين تنزل لتتسوق تدرك أن عدد الرجال الذين يقرءون الجريدة من حولها أكثر من اللازم ..

إجراءات عديدة .. المفترض أن تجعلها أسعد ، لكنها كانت

تزيدها توترًا .. إنها مطاردة من المافيا .. إنها قد حكم عليها بالإعدام من زمن .. هؤلاء الرجال الأشداء يحاولون حمايتها لكن لا بد من ثغرة ما فى لحظة ما ..

طبعًا لا داعى لأن أقول إن (لويجى) أو المفتش (باتينى) لم يظهر مرة واحدة ، وإن تلقت منه مكالمة ذات مرة .. كان يبدأ مكالماته معها بـ (يا وجه الطفلة) ... التى تحولت إلى شفرة متبادلة بينهما ..

قال لها :

ـ « لقد تحركت مياه تحت الجسور .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ـ « إن (لوكا التركى) يبحث عنك .. إنه هو الـ Hit man الخاص بك .. »

ـ « ما هذا الاسم السخيف ؟ »

ـ « لا تحاولى أن تخبريه برأيك فى اسمه لو قابلته .. هذا الرجل لا يحب المزاح .. إنه كابوس .. »

ـ « وماذا بوسعى أن أفعل أكثر من هذا ؟ هناك مخبرون فى حسائى .. »

ـ «فقط حاولى أن تجدى الثغرات التى لم يسدوها هم .. وسديها أنت .. أنت تملكين ما لا يملكونه هم : الخيال .. »

لكن هذه المكالمة جعلتها أكثر قلقًا ..

من قال إنها واسعة الخيال ؟ ولكن لا .. إن (فانتازيا) كلها وليدة خيالها فكيف لا تقدر على التنبؤ بسلوك قاتل اسمه (لوكا التركى) ؟؟

الآن الساعة الواحدة صباحًا وهى وحدها فى الشقة .. لكنها تخرج إلى النافذة فترى أن السيارة إياها تقف هناك مطفأة الأضواء ، والدخان يتصاعد من نافذتها كناية عن أن راكبيها يدخنون بكثافة ..

وقفت ترقب المشهد بعض الوقت شاعرة بالاسترخاء يزحف إلى روحها ..

ليلة هادئة أخرى .. إنها تعرف جيدًا أنها ستشعر بليلة موتها .. ستعرفها من البداية .. لكن هذه الليلة ليست هى ..

فجأة لفت نظرها شىء غريب ..

رأت فتاة تخرج من باب البناية .. فتاة لها ذات قامتها ولون شعرها وتلبس نفس ثيابها .. باختصار توشك أن تكون هى لو رأيتها من بعيد ..

الفتاة تنظر إلى الوراء فى هلع ، ثم تركض .. تمر بجوار السيارة الواقفة فتنظر لها بسرعة ثم تواصل الركض ..

هناك رجل أسود الثياب يعتمر قبعة وحذاءً أبيض .. يخرج من باب البناية بدوره وهو يَجِدُّ السير خلف الفتاة ..

الفتاة تستوقف سيارة أجرة وتثب فيها مذعورة .. هنا يكون الرجل قد لحق بها وفتح باب سيارة الأجرة برغم المقاومة ووثب إلى الداخل .. ثم انطلقت السيارة بالاثنين ..

على الفور دبت الحياة فى سيارة الشرطة الواقفة .. دارت محركاتها هادرة وانطلقت فى إثر سيارة الأجرة ..

ولم تكن سيارة الشرطة وحدها .. هناك سيارة أخرى لحقت بها .. ومن مكانها أدركت مدى الارتباك الذى حدث هنا .. إنهم متلهفون بالفعل ..

ما معنى هذا ؟

* * *

١١ـ كشف الأوراق ..

(الأب الروحى) .. موسيقا (نينو روتا) العذبة التى استوحاها من رعاة (صقلية) تنبعث من مكان ما .. الغريب أنها تصلح للبداية والنهاية معًا ..

* * *

هنا بدأت تفهم ..

بدأت فى ذعر تفهم ..

هذان اللذان خرجا من البناية هما ممثلان يلبسان مثلها ومثل قاتلها لو جاء .. فرت الفتاة أمام المخبرين ثم لحق بها القاتل .. فماذا يفعل رجال الشرطة ؟ بالطبع يجن جنونهم ويسرعون خلف الضحية والقاتل .. وينسون كل شىء عن الضحية الحقيقية التى ما زالت آمنة فى دارها ..

هكذا يمكن القول إن المراقبة حولها صارت معدومة الآن .. إنها وحيدة تمامًا .. فلماذا هى وحيدة ؟

لأن ..

كريك كراك كلانك !!!

هناك من يعبث بباب الشقة ..

يمكنها بلا جهد أن تدرك أن القاتل يحسبها لم تع ما حدث .. وهو الآن يحاول التسلل إليها حيث لن تكون إلا نائمة على الأرجح ..

انتصب شعر رأسها ونظرت إلى الوراء .. لن يلبث أن يدخل إلى الشقة .. هناك مكان واحد للاختباء .. إنه خطر لكنه ليس أكثر خطرًا مما يوشك أن يحدث ..

هكذا عادت إلى النافذة .. تسلقت إطارها ثم دفعت بجسدها إلى الخارج .. وقفت على الإفريز العريض تحت النافذة ترتجف .. لم تحاول النظر إلى الشارع تحت لأنه يمتصها لأسفل بقوة غير مسبوقة .. إنها تعرف كيف سيبدو الشارع المظلم من الطابق العاشر .. فقط أضواء المصابيح والسيارات .. فقط الهواء يحاول أن يقتلعها من مكانها ..

زحفت بضع خطوات إلى جنب كى تصير خارج مجال النافذة ثم حبست أنفاسها ..

لا بد أنه بالداخل الآن .. لا بد أنه يفتش عنها فى غرفة النوم .. فى الحمام .. تحت الفراش .. فى كل مكان ، ولا بد أن عدم العثور عليها أصابه بالجنون ككلب مسعور ..

أحيانًا يتقطع الضوء الخارج من النافذة ثم يعود .. إنه الآن جوار النافذة بالضبط ..

لا بأس .. فلتتماسك .. لا بد أنه سيرحل .. لن يفكر فى هذا المكان أبدًا .. المهم الآن ألا تنظر لأسفل كى لا ...

* * *

فجأة ..

هذه الأشياء لا تحدث إلا لها ..

انفتحت نافذة فى البناية المقابلة وبرز رجل أصلع بدين .. كان يرتدى ثيابه الداخلية ويصيح وهو يفتح الزجاج :

ـ « للمرة العاشرة تأكلين عشائى لمجرد أننى تأخرت عن العودة .. اسمحى لى أن أقول شيئًا وقحًا .. إننى .. »

ثم نظر أمامه فرأى (عبير) ..

فتح فاه فى بلاهة .. ثم بعد ثانية خرج صوته المبحوح المذعور :

ـ ولكن .. إنها تحاول الانتحار ! انتظرى يا حمقاء !! »

رفعت كفها لتخرسه لكن الأوان كان قد فات ..

من النافذة جوارها برز وجه صخرى .. وجه عرفناه نحن جيدًا لكنها تراه للمرة الأولى .. إنه (لوكا التركى) ذاته .. نظر لها بعناية وابتسم ابتسامة شيطانية ..

فى ثبات يخرج مسدسًا عملاقًا ويصوبه نحو رأسها .. يقول شيئًا بصوت عال لكنها لا تسمعه بسبب الريح والمسافة .. نحن نعرف أنه يقول لها :

ـ « هذه مع تحيات الدون (مولدانو) .. »

لن يخطئها من مسافة كهذه ..

ودوت الطلقة المكتومة ..

لكنها لم تسقط .. لم تطر بجناحين وقد تحررت روحها ..

الذى سقط هو (لوكا التركى) ذاته .. كان يتحشرج ويسعل ويبصق دمًا ، ثم هوى إلى الوراء ليختفى فى الحجرة ثم ظهر وجه (لويجى) أو (بانينى) اللاهث المبتسم ..

« مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

« فلن يكون هناك (أنت) آخر .. »

أخيرًا عادت إلى الغرفة معتمدة على ذراعه القوية .. وفى الداخل هالها الوحش المريع الراقد على السجادة ، كما يبدو المذعوب بعد قتله فى أفلام السينما .. بينما كان (لويجى) أو (بانينى) ينزع خنجره الذى غرسه فى مؤخرة عنق الرجل المشغول بالتصويب من النافذة ..

قال لها وهو ينظف النصل بمنديل ورقى :

ـ «ليس (التركى) هو الوحيد الذى يجيد فن التنخيع .. لقد تسللت وراءه وغرست الخنجر فى الوقت المناسب .. »

قالت له لاهثة وهى تجلس على الأرض غير عابئة بكل هذه الدماء :

ـ «لم يطلق رصاصة واحدة .. »

ـ « إن التنخيع يختلف عن أى طريقة موت أخرى ، فى أنه يقضى على الجهاز العصبى من الثانية الأولى .. بينما أنواع القتل الأخرى تسمح بتقلص عصبى للسبابة .. إن التنخيع أسلوب راق يناسب أبناء الأسر الطيبة .. »

مدت ساقيها أمامها وهمست :

ـ « لا أنكر أنك جئت فى الوقت المناسب .. لكنى لا أعرف كيف وجدنى .. »

ـ «إنه واسع الحيلة .. صدقى أن يكون قد فعل أى شىء بدءًا من رشوة المسئولين عن برنامج حماية الشهود ، وانتهاء بمسح كل المحلات التى تبيع دهان شعر أسود ومعرفة العميلات المنتظمات .. على كل حال واضح أن الدون هو من أرسله .. فهذا الرجل لا يعمل إلا لزبون واحد .. »

ومد يده إلى مسدس الرجل فتأمله فى اهتمام ..

كان كاتم الصوت قد اخترع فى الحرب العالمية الثانية ، لكنه لم يكن منتشرًا بين أفراد العصابات فى الخمسينات .. هذا المسدس كان مزودًا بكاتم صوت .. أخرج منديلاً من جيبه ومسح المسدس جيدًا وإن ظل محتفظًا بالمنديل حول مقبضه ..

قال (لويجى) أو (باتينى) فى هدوء :

ـ «كان الهدف من هذه القصة كلها أن يقع (سكاليتشى) فى فخ الشرطة وأن تعدمه الأسرة .. لهذا أقنعت أنا الدون (مولدانو) باستغلالك لأنك أقرب شخص إلى (سكاليتشى) .. وكان النجاح باهرًا .. أما وقد جاء دورك فإننى توقعت أن الدون سيرسل (لوكا التركى) بحثًا عنك ، وكان على أن أترقب اللحظة المناسبة كى أقتله .. لا أحد يستطيع قتل التركى أبدًا ما لم يكن الأخير مشغولاً بالقتل .. هكذا انتظرت فى الظلام حتى تبينت خطته ثم تسللت من ورائه عبر بابك الموارب ، ومارست هوايتى فى التنخيع بينما هو منتبه بكل حواسه لك .. »

هتفت فى دهشة :

ـ « تعنى أنك استخدمتنى كمجرد طعم ؟ »

ابتسم وتحسس المسدس بيده وقال :

- « لا أنكر هذا .. وبفضلك يا صغيرة تخلصنا من أقوى حلفاء الدون .. لقد انتهى دورك .. »

وصوب المسدس إلى رأسها ..

★ ★ ★

هتفت (عبير) فى ضيق :

- « ثمة تعبير يقول (السلاح يطول) ولا أعرف كيف أنقله لك .. أبعد هذا الشىء عنى .. »

قال فى شىء من السخرية :

- « وكيف أقتلك إن لم أصوب المسدس إلى رأسك ؟ »

- « عم تتحدث بالضبط ؟ »

دس لفافة تبغ فى ركن فمه ، وابتسم أكثر فأكثر وقال :

- « لقد انتهى دورك .. المشكلة أنك تعرفين الآن أكثر مما ينبغى .. دائمًا ما يموت الناس فى قصص المافيا لأنهم يعرفون أكثر مما ينبغى .. والآن أرجو أن تكونى فهمت أننى لست رجل شرطة يتظاهر بأنه عضو مافيا .. أنا عضوَ

مافيا يتظاهر بأنه رجل شرطة .. وولائى الوحيد للدون (فيليب تاتاليا) الذى سيصير حاكم (نيويورك) عما قريب .. لقد انتهى عصر الدون (مولدانو) وأتباعه وأعدائه .. والآن هيا ننه هذا قبل أن يعود المخبرون من رحلتهم التى لا داعى لها .. »

صاحت فى رعب :

- « وإنقاذى ؟ ورجال المكتب الفيدرالى ؟ و .. »

- « كل هذا حقيقى .. إننى مفتش شرطة بارع ذو خبرة .. أقدم لهم كل ما يؤذى أعداء (تاتاليا) وهم يعتقدون أننى بارع فى التغلغل داخل المافيا .. بينما السبب بسيط جدًا .. أنا نفسى عضو مافيا .. »

هنا فقط راحت أغنيتها القديمة تتردد فى ذهنها :

- « أعرف أن اللحظة قادمة ..

« أراك تتحاشى النظر إلى وجهى وأنت تشعل لفافة تبغك ..

« أراك تطيل التحديق فى ساعتك ..

« منذ متى تحتاج إلى كل هذا الوقت من أجل ربطةِ عنقك ؟

« أعرف أن اللحظة قادمة ..

« ستكون لديك (أنا) أخرى .. بل مئات الـ (أنا) ..

« تلك ليست مشكلة .. لكن ماذا عنى أنا ؟

« مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

« فلن يكون هناك (أنت) آخر .. »

★ ★ ★

ـ « أعرف أنك ستكون سعيدًا ..

« بلد آخر .. بيت آخر .. واحدة أخرى ..

« الذكريات تتحول إلى قطرات ندى ..

« سرعان ما تجف مع شمس الجنوب ..

« لكننى مهما بحثت .. ومهما فتشت تحت كل حجر ..

« فلن يكون هناك (أنت) آخر .. »

وبدأت تفهم لماذا يحمل الرجل وجه (شريف) .. لقد صار (شريف) بالنسبة لها رمزًا للغدر والخيانة والتقلب .. كان عليها أن تشك فى هذا من البداية ..

ـ « هذه مع تحيات (تاتاليا) .. »

ورفعت رأسها لترى الرصاصة تنطلق ..

هل يمكن أن تراها ؟ بالفعل هى تفعل هذا الآن ..

لا يوجد صوت .. فقط الـ (فلوب) المميزة للمسدسات الكاتمة للصوت ..

إن الضربة تصفعها فى الضلوع كأنها قطار مسرع ..

تطير للوراء ..

يرتطم رأسها بالأريكة ..

تسقط ..

فى اللحظة التالية وجدت أن المرشد يحملها حملاً خارجًا من الشقة ..

كان يلهث .. لكنه لم يتوقف ..

أدركت أن صدر ثوبها ملوث بسائل ساخن لزج .. فقالت له فى وهن :

ـ « أنا قد هلكت يا مرشد .. قلت لى إننى لو هلكت فى (فانتازيا) فقد هلكت فى الواقع . »

قال لاهثًا وهو يضغط على زر المصعد :

ـ « لهذا أحاول أن أخرج من هذا العالم بسرعة .. أنت لم تلفظى أنفاسك بعد .. هه هه .. ولو لحقنا بقطار (فانتازيا) لتلاشت التجربة تمامًا .. هه هه .. أما لو لم نلحق به ... »

أغمضت عينيها وقالت فى إرهاق :

ـ « الخائن ! كنت أثق به أكثر من نفسى . »



تطير للوراء .. يرتطم رأسها بالأريكة .. تسقط ..

قال وهو يسعل كمرضى الدرن :

« إن من يعش فى عالم الأفاعى هذا يتعلم أن يكون أكثر حذرًا .. هه هه .. يمكن القول إنك تجربين للمرة الأولى تجربة الموت برصاصة فى القلب .. »

ـ « وهو ؟ ماذا سيحل به ؟ »

ـ « لا أعرف .. هه .. هه .. ولايهمنى أن أعرف .. هه هه .. سيموت يومًا ما بيد قاتل آخر يجيد عمله ، ويعرف كيف يجد الثغرات .. هذه الحياة .. هه هه .. لا تعطى أصحابها ترف الموت على الفراش . »

ومن بعيد رأت قطار (فانتازيا) وأدركت أنها ستعيش حتى ترى مغامرة أخرى ..

* * *

القصة القادمة تعيشها (عبير) فى عوالم الأشباح والمذءوبين والمومياوات الحانقة دومًا ..

لكنها لن تعيش هذه الخبرات وحدها .. ستعيشها مع عجوز نحيل غريب الأطوار .. اسمه (رفعت إسماعيل) .

* * *

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

عرض لا تستطيع رفضه


د. أحمد خالد توفيق

عالم غامض من الصقليين الشرسين ، والسيارات الفورد السوداء ، والبنادق الآلية ، والأسرة الغاضبة دومًا ، والدون الذى يعرف كل شىء .. هذه القصة ستجعلنا (نعرف أكثر من اللازم) .. وربما ستقدم لنا (عرضًا لا نستطيع رفضه) ..

مطابع سلاح التلميذ

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ٢٥٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

القصة القادمة
ما أمام الطبيعة